www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaitun.mag@gmail.com - www.zaitunmag.com
مجلة اجتماعية ثقافية تصدر شهرية بمسكلة العدد الواحد | 15 أيار 2011

زيتون

العدد :173

في سابعتها.. إدلب والغوطة بين اقتتال الفصائل وتقدم النظام

في سابعتها.. إدلب والغوطة بين اقتتال الفصائل وتقدم النظام

إحدى العيادات الطبية بريف إدلب - زيتون

اليوم، وبعد سبعة أعوام من الثورة، وخمسة على حصارها، تفقد الغوطة الشرقية جزءاً كبيراً من مساحتها لصالح نظام الأسد، وتُقسم إلى ٣ أجزاء، وترزح تحت خطر المصالحات والتهجير، بعد أن راهن الكثيرون أن الغوطة لن تكون حلب جديدة، فما هي الأسباب التي أوصلتها إلى ذلك؟

روسيا والنظام في الغوطة «أطلق يدي وانطلق»

خاص زيتون

اليوم، وبعد سبعة أعوام من الثورة، وخمسة على حصارها، تفقد الغوطة الشرقية جزءاً كبيراً من مساحتها لصالح نظام الأسد، وتُقسم إلى ٣ أجزاء، وترزح تحت خطر المصالحات والتهجير، بعد أن راهن الكثيرون أن الغوطة لن تكون حلب جديدة، فما هي الأسباب التي أوصلتها إلى ذلك؟

«من هنا مرّ جنود الفرقة الرابعة»، عبارة ألفها أهالي الغوطة الشرقية على بقايا الجدران وأعمدة الكهرباء وكل ما دمرته قوات النظام بقيادة الفرقة الرابعة ضمن حملة الاجتياح الكبرى للغوطة في أواخر عام ٢٠١٢، قبل أن يحررها ثوارها، بثمن باهظ دفعه أهلها في مطلع العام الثالث للثورة، ليفرض نظام الأسد إثرها حصارا خانقا على الغوطة الشرقية، ويبدأ بتطبيق سياسة التجويع على أهلها، لم تنتهِ منذ نهاية الربع الأول من عام ٢٠١٣ وحتى هذه اللحظة. لم تجدي سياسة التجويع نفعاً، ولم يكن لدى نظام الأسد صبراً، وظنّ أن بإمكانه كسر إرادة أهالي الغوطة وثوارها، لا بل ربما إبادة نحو مليون ونصف نسمة في ثاني أكبر معقل للثوار في سوريا، وأخطر وأقرب معقل لهم إلى دمشق، وذلك عبر استهدافها بصواريخ محملة بغاز السارين الكيميائي، وتحت غطاء دولي.

إلا أن أمله خاب، وأحلامه تبددت، فقد كان طموحه أكبر من أن يقتل نحو ١٨٠٠ شخص، ويصيب الآلاف، وفي الوقت ذاته كانت خطته لاستغلال انشغال أهالي الغوطة بشهدائهم ومصابيهم الذين لا يدركون شيئاً عن مدى تأثرهم أو طريقة علاجهم أو مساعدتهم أو حتى مضاعفاتها، ولا يملكون إلا بضعة عبوات من الأتروبين للتخفيف من وطأتها، وقام بعد ٣ ساعات من القصف الكيميائي بمحاولة اقتحام الغوطة الشرقية من كافة محاورها بغية السيطرة عليها.

ولكن كل محاولاته باءت بالفشل، وذهبت سدىً، فحتى الغاز المحرم دولياً لم يمنع ثوار الغوطة من الذود عن أرضها وأهلها، وانطلقوا إلى جبهاتها، مخلفين وراءهم عائلاتهم ما بين شهداء ومصابين ومجهولي المصير، غير آبهين بالغاز ولا بالطائرات التي كانت بالجملة تحلق وتقصف عشوائياً، مع راجمات ومدافع وغيرها بقيت لأيام عديدة تقصف دون توقف.

عزيمتهم تلك وإصرارهم على إحباط الأسد وقواته، واستماتتهم وصمودهم على مدى أعوام الثورة، ربما هي التي منحت السوريين الثقة بأن الغوطة الشرقية لن تسقط يوماً.

الجغرافية والقصف واقتتال الفصائل

بالإضافة إلى الأسباب الدولية، لعبت الخبرة لدى قوات النظام والميليشيات المساندة لها، وفارق التسليح والتجهيز والتعداد بينها وبين الثوار، والطبيعة الجغرافية لمواقع المعارك، كما ساهم القصف المكثف بكافة أنواع الأسلحة، ولا سيما من قبل الطائرات الروسية في زيادة التأثير السلبي على الثوار، والتي كان تصل عددها في بعض الأحيان إلى تسع طائرات في آنٍ واحد، مستخدمة المحرم وغير المحرم من الأسلحة على مدن وبلدات الغوطة من قنابل النابالم والفوسفور، في الوقت الذي كانت فيه طائرات النظام تعكر أجواءها بغاز الكلور، وراجماته بالصواريخ، ومدفعياته بالقذائف، ما أجبر الثوار على الانسحاب من مواقعهم ضمن المساحات الزراعية المكشوفة، والتراجع شيئاً فشيئاً، مع محاولات لاستعادة ما خسرته، نجحت في مرات عديدة، إلا أنها خسرت في المحصلة.

اقتتال الفصائل وأخطائها السابقة أضعف الحاضنة الشعبية لها، كما أضعفت هجماتها على قوات النظام القريبة، ما ترك الباب مفتوحا أمام محاولات النظام للتقدم، كما ساهم الاقتتال السابق في خسارة أجزاء سابقة كانت تعتبر السلة الغذائية للغوطة ولا سيما القطاع الجنوبي، إضافة إلى التنسيق المتواضع بين جيش الإسلام وفيلق الرحمن أبرز فصائل الغوطة الشرقية.

ويعتبر تمكن قوات النظام من قسم الغوطة إلى قسمين شمالي تحت سيطرة جيش الإسلام، وجنوبي تحت سيطرة فيلق الرحمن، تمزيقا مميتا لأوصال الغوطة وقدرة الفصائل على المقاومة، بعد خسارتها لمديرا وبيت سوى.

كما جاءت أنباء الاقتتال في الشمال ما بين تحرير سوريا وتحرير الشام في محافظتي إدلب وحلب لزيادة الطين بلة، في حالة من التراجع العسكري لم تشهد سنوات الثورة السبعة الماضية مثيلا لها.

أسباب خارجة عن السيطرة

في حملته الأخيرة على الغوطة الشرقية، لم يوفر نظام الأسد وسيلة إلا واستخدمها، فلم يكتفِ بعناصر الفرقة الرابعة وغيرها، بل استقدم أيضاً قوات النمر، كما لم يكتفِ كعادته بالميليشيات الإيرانية وميليشيا حزب الله اللبنانية، وإنما باتت المعركة معركة روسيا في سماء الغوطة، وفي المحافل الدولية، ووفق مخططاتها التي رسمتها لها، وأوامرها التي أملتها، واتفاقياتها التي أبرمتها مع شركائها بالمصلحة.

عملت روسيا مع حلفائها وفق مبدأ المحاصصة «أطلق يدي وانطلق»، وفرضت إرادتها ليس فقط على سوريا ونظامها، بل حتى على الأمم المتحدة ومجلس الأمن والدول الإقليمية، وهيمنت على القرار الدولي، وباتت المتحكم فيه، فكان التخاذل الدولي تجاه الغوطة الشرقية أكبر من أي وقت مضى.

لم يُرد أي طرف دولي، وليس لم يستطع، إنهاء تلك الجرائم التي تُرتكب يومياً ومنذ أكثر من عشرين يوماً، وما تزال مستمرة، فكانوا كلهم شركاء فيها بإرادتهم وصمتهم، الذي لم يتعدى الأقوال، وقراراً متواضعاً من أكبر هيئة أممية يفترض أن الهدف من وجودها الدفاع عن حقوق الإنسان وحمايته، لم يحاول هذا المجلس أن يجد له أذناً صاغية، أو سيلةً لإلزام الأسد وشركائه بقراره رقم ٢٤٠١، ولا غرابة في الأمر، فهي ليست المرة الأولى في تاريخ الثورة السورية، ولن تكون الأخيرة.

النتائج والتوقعات

في ظل واقع القصف الجوي وتركيز النظام لقواته وميليشياته وتطويقهم للغوطة، واستشهاد نحو ١٢٠٠ مدنياً، وإصابة أكثر من ٧ آلاف آخرين، وتدمير مدن وبلدات بأكملها، لم يعد مرجحا صمود الأهالي لفترة طويلة، وهو ما يقرب من احتمالات التفاوض والتسليم على شكل هدن ومصالحات تفضي بسيطرة النظام بشكل أو بآخر، لكن يبقى أن يبادر المجتمع الدولي وعلى رأسه أمريكا بالتدخل في اللحظات الأخيرة لمنع حدوث مقتلة تجعل من الأسد منتصرا على أكبر معاقل معارضته القريبة من دمشق، لتفرض على مجلس الأمن وروسيا قرارا بوقف إطلاق النار بشكل فوري.

كل الخيارات ممكنة في سابعة الثورة وزمن الخسائر، في وقت بدأت تتسرب صور لبعض الأهالي وهم يعبرون المعابر المذلة التي فرضها النظام على أهالي الغوطة دون معرفة مصيرهم بعد مغادرتهم كاميرات النظام التي تفتخر بنصرها.

في الذكرى السابعة للثورة.. إدلب تتجاوز مرحلة القاعدة

طغى الاقتتال الفصائلي على ملامح الحياة في محافظة إدلب طيلة عام ٢٠١٧، إذ بدأت بوادره قبل عامين، بعد ممارسات مشبوهة لتنظيم جند الأقصى الموالي لتنظيم داعش.

ومع تصاعد المواجهات بين حركة أحرار الشام والتنظيم، لم تنجح الحركة في استئصال جند الأقصى وذلك بتدخل فتح الشام المسمى السابق لهيئة تحرير الشام وجبهة النصرة، في حماية جند الأقصى وضمه إليها، وإبقائه شوكة في خاصرة الفصائل معززا لفتح الشام واعتداءاتها السابقة واللاحقة على هذه الفصائل.

وسلكت مدن وبلدات المحافظة أسلوب تحييد نفسها عن الاقتتال في حماية أهلها بشكل يوحي بالحياد في وقت ظهر التعاطف بشكل جلي مع حركة أحرار الشام ووقوف الناس ضد فتح الشام بشكل مستتر خوفا من انتقام عناصرها، وهو ما تكرر على طول العام الذي شهد عدة اشتباكات عنيفة وصلت إلى استعمال السلاح الثقيل بين أكبر فصيلين من فصائل المعارضة.

كما تبعتها مجموعة من المجالس المحلية في إعلان استقلاليتها عن أي فصيل في خطوة فهمت على النأي بنفسها عن أي اصطفاف فصائلي قد يعرضها لتوقف تمويل مشاريعها من قبل المنظمات الدولية، التي حرصت على عدم التعامل مع أي جهة لها علاقة بتنظيم القاعدة في سوريا وعلى رأسها هيئة تحرير الشام.

لم تدم حالة عدم الوضوح من موقف هيئة تحرير الشام من حركة أحرار الشام حتى ألحقتها بباقي الفصائل المفككة بعد أن تمكنت من طرد الحركة من معظم محافظة إدلب لتتراجع الحركة إلى جيوب صغيرة في ريف حماة الغربي.

سبق ذلك تشكيل هيئة تحرير الشام ومحورها جبهة النصرة في محاولة للالتفاف على تصنيفها الدولي الإرهابي، بضم عدة فصائل منها حركة نور الدين الزنكي بقيادة "أبو جابر هاشم الشيخ" قائد حركة أحرار الشام سابقاً، فهم منها محاولة لضم حركة أحرار الشام من خلال هذه الخطوة، إلا أن فشل المفاوضات في ضم حركة أحرار الشام دفع بهيئة تحرير الشام إلى مهاجمتها واتهامها بعرقلة التوحد، الأمر الذي كان الشارع في محافظة إدلب قد نادى به مطولا، ورغب الجولاني بتحقيقه عبر طرقه الخاصة في ضم أكبر فصيل مناوئ له.

وكانت حركة نور الدين الزنكي قد انشقت عن هيئة تحرير الشام بعد اعتداءات الأخيرة على حركة أحرار الشام ومحاولة تفكيكها، كما ذاب قائد الهيئة أبو جابر هاشم الشيخ دون أي ضجيج ليبقى الجولاني مسيطرا على الهيئة ومحافظة إدلب بشكل مطلق.

وبحركة مكشوفة قامت هيئة تحرير الشام بإنشاء حكومة الإنقاذ في الشمال المحرر برئاسة «محمد الشيخ»، بهدف ترسيخ سلطة القاعدة فيها وخلق جناح سياسي لها، حاول ضم وكسب شرعية الشارع الذي سارع برفضها ومهاجمتها وعدم التعامل معها.

وفي خطوة جريئة ربما كانت مدعومة من الطرف التركي قامت حركة أحرار الشام وحركة نور الدين الزنكي بالتوحد تحت مسمى جبهة تحرير سوريا هدفها ردع هيئة تحرير الشام وإيقافها عند حدها بعد تهاوي شعبيتها بشكل حاد إثر تقدم قوات النظام في معارك شرقي سكة الحديد ووصول قوات النظام إلى قلب محافظة إدلب دون مقاومة تذكر.

ورجح الكثير من المراقبين ذلك التقدم بتنفيذ اتفاق أستانة الذي يقضي بسيطرة النظام على منطقة شرقي سكة الحديد مع انتشار نقاط مراقبة مشتركة على الحدود الفاصلة تكون فيها تركيا وروسيا الضامن لكلا الطرفين، وهو ما تم تنفيذه بشكل علني وواضح.

المعارك التي شنتها هيئة تحرير سوريا لم تغير من الواقع الميداني كثيرا سوى بتقاسم المحافظة بينهما لكنها أعطت درسا للجولاني بأن هناك قوة قد تشكلت مصرة على تحديد قوته إن لم يكن إنهاؤها.

الاقتتال الذي ما زال جاريا حتى الآن أفقد أهالي محافظة إدلب الثقة بالفصائل الإسلامية، ولا سيما بعدما رأى تقدم جيش النظام إلى أطراف بلداته دون أن تحرك تلك الفصائل ساكنا، تجلت معنويات الأهالي في المظاهرات التي صرخت بشكل صريح بإسقاط الجولاني وقاعدته، لتكون ذكرى الثورة السابعة بداية النهاية الحقيقية لمرحلة القاعدة في سوريا والتي أضرت بشكل كبير بالثورة وصورتها ومسارها.

أزمة محروقات خانقة تهدد الشمال السوري بالشلل التام

شهدت أسعار المحروقات ارتفاعاً سريعاً وملحوظاً بعد أن تجاوز سعرها الثلاثة أضعاف في الشمال السوري المحرر، مع انقطاع شبه تام لمادة الديزل في الأسواق.

ولأول مرة بلغ سعر الليتر الواحد من مادة الديزل ٧٠٠ ليرة سورية، أي ما يعادل ١٥٤ ألف ليرة للبرميل الواحد، وهو ما يقارب ٣٣٠ دولار أمريكي، أي ٧ أضعاف السعر العالمي لبرميل النفط، كما وصل سعر الليتر الواحد من مادة البنزين إلى ٦٠٠ ليرة سورية، في حين بلغ سعر أسطوانة الغاز ١٢ ألف ليرة سورية.

ويأتي هذا الارتفاع في أسعار المحروقات بعدما أعلنت تركيا عن بدء عملية غصن الزيتون العسكرية في منطقة عفرين في ٢١ كانون الثاني ٢٠١٨، أعقبها توقف دخول مادة الديزل القادمة من المناطق الشرقية إلى الشمال السوري المحرر عبر عفرين.

تاجر المحروقات "اسحق العلي" قال لزيتون: "بدأ الارتفاع الجنوني للأسعار نتيجة قلة المادة في الأسواق بعد توقف دخول الديزل من عفرين، ترافق ذلك مع توقف معبر مورك في شمال حماة عن العمل، وهو المعبر الوحيد الذي يتم استيراد البنزين والغاز منه من مناطق النظام".

وينعكس هذا الارتفاع على الواقع الاقتصادي والخدمي والمعيشي في المناطق المحررة، نظرا لأهمية مادة الديزل على مقومات الحياة، لا سيما قطاعي المياه والكهرباء المرتبطين بها، واللذان لا يمكن توفيرهما دون توفر مادة الديزل كما بدأ يظهر في تخفيض ساعات تشغيل المولدات في أغلب مناطق محافظة إدلب.

كما تأثر قطاع الزراعة الذي يعد العمود الفقري للاقتصاد في المناطق المحررة بهذا الارتفاع، إذ يضطر المزارعون إلى تشغيل الآبار الارتوازية من أجل عملية الريّ المعتمدة على مادة الديزل، ما يضع الموسم الزراعي أمام خطر محدق، فضلاً عن قطاع المواصلات وعمل المشافي والمؤسسات الخدمية التي تحتاج للنقل وحركة الآليات كمنظومة الإسعاف والدفاع المدني.

مدير منظومة إسعاف سراقب"عمار شيخ أحمد" قال لزيتون:

"ككل القطاعات الخدمية نعاني من انقطاع مادة الديزل، واقتصرت خدماتنا حالياً على الحالات الساخنة والحرجة التي تحتاج إلى منفسة أوكسجين أو الأطفال حديثي الولادة، ولكننا معرضون للتوقف في أي لحظة".

فيما يقول المزارع "علي الحسين" من ريف إدلب الشرقي: "انقطاع الديزل كارثي ويهدد الموسم الزراعي بشكل حقيقي، نحن نعتمد على الديزل لسقاية المزروعات، فكل هكتار من الأرض يحتاج لبرميل ديزل للسقاية الواحدة على أقل تقدير، ولا أحد يستطيع أن يسقي في ظل هذه الأسعار، وإذا لم تتوفر مادة الديزل سوف تتعرض المواسم للتلف أو عدم الإنتاج، ونكون قد خسرنا كل ما قدمناه من جهد وتعب ومصروف كبير على المزروعات".

فيما أكد عدد من الأهالي لزيتون أن فقدان مادة الديزل أدى الى ارتفاع عام بالأسعار من كهرباء وماء وصولاً إلى مادة الخبز، فيما لجأ بعض الأهالي لاستخدام ببور الكاز، والاعتماد على الحطب للتدفئة والطبخ، علماً أن الكاز والحطب لم يسلما من ارتفاع الأسعار، وقد وصل سعر ليتر الكاز إلى ٧٠٠ ليرة سورية كما بلغ طن الحطب ما يقارب ٨٠ ألف ليرة سورية، لكن يوجد توفر نسبي للمادتين حتى اليوم.

وانتشر مؤخراً بيان لمصدر إعلامي في فيلق الشام على مواقع التواصل الاجتماعي، لم يتم التأكد منه، أنه سيتم في الأيام القليلة القادمة إدخال مادة الديزل عبر المناطق التي حررها الجيش السوري الحر في منطقة عفرين ضمن عملية غصن الزيتون.

نشوء التجمعات السياسية في إدلب.. الهيئة السياسية نموذجا

لم يكن واقع الحرب والعسكرة وسيطرتها على المشهد السوري خلال سنوات الثورة خياراً أراده السوريون، بل هو واقع فرضته الظروف، وكان لابد من محاولات للتخلص منه وتفعيل الدور السياسي، أو على الأقل خلق أجسام سياسية توازي خط العسكرة وتأخذ مكانها، انبثقت عن هذه الضرورات عدة تجارب كان منها الهيئة السياسية في محافظة إدلب، كجهة حاولت لعب دورٍ سياسيٍّ محليٍّ.

فريق زيتون

وتـعـرف الهيئة نفسها بأنها جسم سياسي مدني ولد في محافظة إدلب، تؤمن بضرورة العمل السياسي، وتتبنى مشروع الثورة وأهدافها بنيل الحرية، وتسعى لتكون الممثل السياسي لها.

بـدأ الـشـروع في تشكيل الهيئة بعد اجتماع ما يقارب مئة ناشط ثـوري، إيماناً منهم بـضـرورة تشكيل جسد سياسي داخلي بالمحافظة، لاسيما وأن معظمهم عمل بتنسيقيات الثورة السياسية في مختلف مناطق المحافظة سابقاً.

مخاض فكرتها وظروف نشأتها

من فكرة لناشط شاركها مع نشطاء آخرين بالتفكير والتخطيط والعمل، لتجميع نشطاء إدلب في جسد سياسي واحد، بدأت فكرة الهيئة التي تحدث صاحبها ورئيسها السابق "رضوان الأطرش" لزيتون عن فترة المخاض الأولى، وعن مرحلة تأسيس وولادة الهيئة قائلاً:

"بدأت الهيئة السياسية بمحافظة إدلب، كفكرة بعد تحرير إدلب بما يقارب ١٠ أيام، من خلال اجتماع نسق له في قرية "عين لاروز" جنوب إدلب، في ٦ إبريل لعام ٢٠١٥، ضم ما يقارب السبعين ناشطاً، تم فيه نقاش أوضاع المحافظة بشكل عام، ثم تم طرح فكرة عمل سياسي على مستوى المحافظة، لتتطور المناقشات بعد هذا الاجتماع بين النشطاء وتزداد رقعتها على مستوى العدد والمناطق".

وأضاف الأطرش: "نتج عن توسيع مشاوراتنا مع غالب نشطاء المحافظة، عقد اجتماع موسع في مدينة "بنش" في ١٣ كانون الأول ٢٠١٥، ضم حوالي مئتي ناشط، ومن خلال هذا الاجتماع تم وضع خطة العمل للهيئة السياسية.

تبع اجتماع بنش أحد عشر ملتقى، أجرتها الهيئة بشتى مناطق محافظة إدلب على مدى عام ٢٠١٦، ونتيجة لهذه اللقاءات تم عقد المؤتمر التأسيسي الأول في بلدة "كفر تخاريم" في ٢٤ من تشرين الأول ٢٠١٦، والذي ضم ١٠٦ أعضاء من المؤسسين، ممثلين لكافة دوائر إدلب، تم فيه انتخاب رئيسا للهيئة وتكليف مكتب تنفيذي لدورة مدتها عام.

كانت الفترة مناسبة لولادة أي جسد سياسي بحسب رؤية نشطاء المحافظة، ومع وجود عقبات بسيطة لا تذكر، إلا أن عقبة وحيدة احتاجت من الهيئة عملاً وجهداً وتخطيط لتجاوزها، أوضحها الأطرش لزيتون: "موضوع العسكرة والفصائلية كان التحدي الأكبر لنا، وبعد لقائنا بمعظم الفصائل العسكرية مثلهم مثل كل الجهات الثورية، طرحوا أن يكون لكل فصيل ممثل بالهيئة، وطبعاً تم رفض هذا الطلب، وكان ردنا أننا جهة مدنية سياسية لا يمكن للعسكرة أن تدخل بها".

أهداف ونشوء الهيئة وبنيتها التنظيمية

كان الهدف الأساسي من نشوء الهيئة السياسية في محافظة إدلب هو إيجاد جسم سياسي حقيقي في الداخل، يمثل الثورة سياسياً، ويكون صوتها الحقيقي، ويقوم في أساسه على الركيزة الشعبية الثورية والمديريات ومجموع الناشطين في المحافظة، بحسب "الأطرش".

وبالإضافة للهدف الأساسي هناك أهداف عامة بعيدة قامت عليها الهيئة، تحدث عنها مدير مكتب العلاقات العامة في الهيئة السياسية بإدلب "غانم خليل" لزيتون: "من أهم أهداف الهيئة إسقاط النظام المجرم بكافة رموزه وأشكاله، والعمل على تحقيق عدالة اجتماعية شاملة، وضمان الحريات العامة والحقوق الجماعية والفرعية، والمحافظة على مؤسسات الدولة وإعادة تفعيلها، والعمل على ربط التربية بالتنمية".

وتعتمد الهيئة السياسية في بنيتها التنظيمية على سبع دوائر موزعة في مناطق محافظة إدلب، تسمى وفقاً لمناطق توزعها "دائرة أريحا، دائرة خان شيخون، دائرة معرة النعمان، دائرة إدلب، دائرة حارم، دائرة جسر الشغور"، بالإضافة إلى الدائرة الجديدة التي تم استحداثها في الدورة الجديدة وهي خاصة بمدينة إدلب، وذلك بعد طلب من أبناء منطقة إدلب، لتبقى دائرة إدلب القديمة مختصة بريف إدلب القريب من المدينة، وتطلّب استحداث الدائرة تعديل النظام الداخلي من قبل المكتب التنفيذي الجديد بما يتناسب مع ذلك، بحسب "الخليل".

ويشرف على هذه الدوائر مكتب تنفيذي يتكون من رئيس الهيئة ونائبين اثنين وعشرة أعضاء، يترأسون المكاتب "السياسي، القانوني، التخطيط الاستراتيجي، الإعلامي، المالي، العلاقات العامة، التنظيم والإدارة، التنسيق والمتابعة، المنظمات والدعم الإنساني، الارتباط العسكري"، وفقاً لمدير مكتب العلاقات العامة في الهيئة السياسية بإدلب.

وتضم الهيئة أكثر من ٥٠٠ عضواً، ويتم الأخذ بعين الاعتبار في الأمانة العامة للهيئة المعيار السكاني، بحيث يكون لكل منطقة في إدلب عدد من الأصوات يتناسب مع الحجم السكاني فيها، فعلى سبيل المثال مثّل مدينة خان شيخون عشرة أعضاء، بينما مثّل مدينة إدلب ٣٠ عضواً من أعضاء الأمانة العامة للهيئة، بحسب "الأطرش".

وأضاف الرئيس السابق للهيئة السياسية في محافظة إدلب: "للهيئة السياسية في محافظة إدلب، نظام داخلي ناظم لجميع أعمالها، يوضح أهداف الهيئة وبرنامجها، ومهام كل مكتب، ومهام الأمانة العامة، والمهام التنفيذية التنظيمية، والعقوبات الإدارية وغيرها، ومن خلال هذه الهيئة استطعنا أن ننقل التجربة إلى باقي المحافظات، والآن لدينا هيئات سياسية في سوريا، شكلت الهيئة السياسية في إدلب النواة لهذه الهيئات".

وعن آلية الانتساب للهيئة السياسية ومحدودية قبولها للمتقدمين بطلبات الانتساب، يقول رئيس دائرة أريحا في الهيئة السياسية والناطق الرسمي باسمها "عبد العزيز عجينة" لزيتون: "إن عدد أعضاء الهيئة السياسية في تزايد مستمر، ومن الصعب قبول كل المتقدمين بطلبات، نظراً إلى مخاطر الاجتماعات بأعداد كبيرة في ظل الهجمات الجوية والقصف المستمر، والعدد الحالي يزيد عن ٥٠٠ عضو".

ويتابع "العجينة" قائلاً: "يتم التقدم بطلب انتساب للراغبين، ويتقدم للدائرة حسب المنطقة، وبتزكية من عضوين من الهيئة السياسية، وفي حال اقتراح الموافقة يُحال الطلب لمكتب التنظيم، ويتم الموافقة بناء على مطابقة طالب أو طالبة الانتساب للشروط المعتمدة في الهيئة السياسية، والتي من أهمها أن لا يكون المنتسب ممن تلطخت أيديهم بدم أو مال حرام خلال الثورة وغير مرتبط بجهة عسكرية".

مواقف الهيئة السياسية في العقد المفصلية بإدلب

يرى الكثيرون أن نشاط الهيئة المقتصر على إصدار البيانات السياسية نشاطاً غير كاف لتحقق الهيئة أهدافها المطروحة في تمثيل الثورة، أو استقطاب الشارع السياسي، مرجعين السبب في عدم أخذ دورها إلى عدة عوامل منها داخلية تتعلق بسياسة الهيئة، وأخرى خارجة عن إرادة قيادتها.

الرئيس السابق للهيئة السياسية رضوان الأطرش قال لزيتون: "تتجلى وسائل تنفيذ أهداف الهيئة السياسية بإصدار البيانات السياسية التي تترافق مع كل حدث سياسي، والتي يعتمد عليها العمل السياسي بشكل رئيسي، بالإضافة لنقل صورة ما يجري في الداخل إلى الخارج، وما يجري في الخارج إلى الداخل، وبلورة الأحداث السياسية بكل شفافية ومصداقية، ومن أهم إنجازات الهيئة السياسية إطلاق سراح ٤٠٠ معتقل من سجون فصائل عفرين عبر عملية سياسية إنسانية قامت بها الهيئة، بالإضافة لخطاب وجهته الهيئة السياسية إلى فصائل الداخل لإطلاق سراح المعتقلين في سجونها، ومتابعتها لتشكيل جميع النقابات في محافظة إدلب، كما قامت الهيئة بمساعدة لجنة التحقيق الدولية حول موضوع مجزرة الكيماوي في مدينة خان شيخون، وكان للهيئة السياسية في محافظة إدلب حضور مميز في جميع الفعاليات في المحافظة".

محاولات التواصل الدولي

من بين أبرز النقاط التي قدمتها الهيئة مشروع متكامل تحت عنوان مبادرة الحل السياسي في سوريا، تم صياغتها في الشهر السادس من عام ٢٠١٧ وتم نشرها في الشهر العاشر من نفس العام باللغتين العربية والإنكليزية.

وتمكنت الهيئة كذلك من الوصول عبر وسطاء لخارجيات دول أوروبية وإقليمية، مع استمرار المحاولات للتواصل مع الخارجية التركية وقيادات حزب العدالة والتنمية.

وبحسب الخالد فإن "كل الدول الإقليمية والعظمى تعاملت مع الداخل السوري في موضوعين اثنين فقط، هما الموضوع العسكري حيث لكل دولة فصيل تدعمه وتوجهه، والموضوع الإنساني الذي يتم عن طريق المنظمات والمجالس المحلية، وأغفلت جميعها التعامل مع المكونات السياسية الثورية في الداخل بحكم أنها تتعامل وفق مصالحها مع الائتلاف السوري المعارض في الخارج وبعده الهيئة العليا للمفاوضات بنسختيها ١ و٢".

وبشأن العلاقة والتواصل مع روسيا يرى الخالد أن الهيئة السياسية تعتبر روسيا دولة معادية، ولا وجود لأي نية للتواصل معها.

كما أسفَ الخالد على امتناع الدول العربية عن تقديم أي مساعدة لهم، بخصوص التواصل مع خارجياتهم، مبيناً أن كل ما تم إنشاؤه من قنوات تواصل مع وزارات الخارجية الأوروبية، ومع مكتب ديمستورا ومكتب الأمين العام للأمم المتحدة، وتمكنهم مؤخرا من التواصل مع وزارة الخارجية لدولة الكويت، كونها عضو غير دائم في مجلس الأمن، كان بهدف تقديم المساعدة في ضوء ما يحصل في الغوطة الشرقية.

وكان للهيئة السياسية موقفاً رافضاً لاتفاقية المدن الأربعة، معتبرة أنه اعتداء على حق الحياة في الملكية الخاصة لأي مواطن، إضافة إلى تساوقه مع مشاريع التغيير الديموغرافي الذي جرى سابقاً في كل من القصير وحمص ثم داريا والزبداني.

ودعت الهيئة إلى وقف تنفيذ هذه الاتفاقية العدائية للشعب السوري كونها تخالف أهداف ثورته وحقوقه المشروعة وتلبي أجندات خارجية مفروضة بقوة السلاح والمال السياسي وبالنسبة لمجزرة السارين في خان شيخون كنا أول من تجاوب مع أحداثها وقدم مداخلات إعلامية تسلط الضوء عليها، كما كنا الفريق المعتمد لمرافقة لجنة التحقيق المختصة في هذه الجريمة، بحسب "الخالد".

تركز الهيئة السياسية على فكرة تواجدها في الداخل، وتعطي هذه النقطة مصداقية لمواقفها، وذلك باحتكاكها ومعايشتها للشارع والناس، لكن بالمقابل تدفع الهيئة ثمن هذا التواجد سياسيا، لا سيما في القضايا المتعلقة بسلوكيات الفصائل المسيطرة على الأرض ما يعيد السؤال حول قدرتها على التعبير.

نائب رئيس الهيئة السياسية للشؤون السياسية "محمد الخالد" يرى أن الغاية من وجود الهيئة هو إيجاد البديل الحقيقي لغياب صوت الداخل في الخارج وتمثيله، والذي يصفه بأنه متروك للسلاح والموت فقط، مع استئثار مؤسسات المعارضة في الخارج بتمثيل مطالب الشارع دون معرفتها بها، إضافة إلى أن وجود هيئات سياسية في الداخل، وممارسة العمل المدني تحت راية الثورة، ينفي السواد عن الداخل بشكل عام وإدلب بشكل خاص، ويظهر للعالم أن هناك ثورة وثوار وليس فكر إرهابي أو متطرف.

انتقادات حول هيئة تحرير الشام

أثار حضور الهيئة السياسية في محافظة إدلب للمؤتمر التأسيسي لمبادرة حكومة الإنقاذ التي أطلقها "مجموعة من الأكاديميين" والتابعة لهيئة تحرير الشام انتقادات واسعة لدى المهتمين بالشأن العام، وذلك بسبب التناقض في تقديم الهيئة لنفسها وأهدافها، وبين هدف المؤتمر وتسخيره من قبل هيئة تحرير الشام لأجندتها.

وفي رده عن موقف الهيئة السياسية من حركة تحرير الشام وسيطرتها على كامل المحافظة قال نائب رئيس الهيئة السياسية محمد الخالد:

"نحن كهيئة سياسية مدنية تضم قادة المجتمع المدني في محافظة إدلب، ليس لنا أي علاقة بالفصائل، ولا يوجد تعامل أو تنسيق أو تمثيل لأي فصيل معنا، سواء أكانت فصائل متطرفة أو معتدلة أو حتى فصائل جيش حر، نحن كيان مدني والهيئة السياسية هي حامل لأهداف الثورة المتمثلة بالحرية والعدالة والمساواة والمواطنة، في حال وجود هيكلية حقيقية لمؤسسة جيش حر قادرة على حمل أهداف ومبادئ الثورة وتطبيقها على الأرض وحمايتها فنحن معها".

وأضاف الخالد:

"موقفنا من أية سيطرة أخرى هو وجوب توجهها لتحرير المناطق والدفاع عنها، والابتعاد عن الحياة المدنية، وأن تكون البندقية في خدمة الثورة السياسية".

وعن سؤال حول عدم وضوح موقف الهيئة السياسية من هيئة تحرير الشام وهي أكبر فصيل مسيطر بشكل كامل على محافظة إدلب، وغياب أي بيان لها في هذا الشأن، أوضح الخالد أنه من غير الضروري في كل بيان، أن يتم ذكر معاداة الهيئة لسيطرة أي فصيل على الحياة المدنية، معتبرا أن عملهم على الأرض ونهجهم المشروع وهويتهم تعبر عن ذلك، مؤكدا تعرض زملاء لهم في الهيئة للخطف والاعتقال والتضييق من قبل هيئة تحرير الشام.

من جانبه ينتقد الناشط السياسي "حسين أمارة" **موقف الهيئة السياسية بعد حضورها لمؤتمر حكومة الإنقاذ بقوله: "الهيئة السياسية في محافظة إدلب دمرت نفسها بنفسها، وذلك لمشاركتها بالإجتماع التأسيسي لحكومة الإنقاذ، وهذا أشعر الناس بأنهم بدون موقف من هيئة تحرير الشام (جبهة النصرة) التي أضرت بالثورة السورية وأفقدتهم المصداقية، وليس لديهم الآن أي رصيد جماهيري، لهم اسمهم فقط".**

وفي رده على الانتقادات قال رئيس الهيئة السياسية "عاطف زريق" لزيتون: "تم تمرير قرار حضور الاجتماع التأسيسي لحكومة الإنقاذ في ولاية الرئيس السابق رضوان الأطرش، رغم اعتراض غالبية أعضاء الأمانة العامة في الهيئة، لكن رئيس الهيئة الأطرش، تمكن من الحصول على أكثرية أصوات المكتب التنفيذي صاحب الصلاحية بإصدار القرارات بحسب النظام الداخلي، وتم حضور المؤتمر، بعد تلقيه وعوداً بأن حكومة الإنقاذ لا تمثل أي فصيل، ووعودا أخرى بحق الهيئة السياسية بوضع شروط العمل السياسي في محافظة إدلب، وقد اكتشفنا لاحقا خداعنا بهذا الأمر".

ويضيف رئيس الهيئة: "قمنا مؤخراً بإصدار مبادرة لإيقاف الاقتتال بين الفصائل في الشمال السوري، ودعينا بشكل صريح في أحد بنودها إلى حل حكومة الإنقاذ كونها شكلت من فصيل واحد، وأرى أن حضور الهيئة للمؤتمر التأسيسي لحكومة الإنقاذ شكل نقطة انتقاد لها".

وفي بيان لها حول الإنذار الذي وجهته حكومة الإنقاذ لإغلاق مكاتب الحكومة المؤقتة في الشمال السوري بتاريخ ١٢ كانون الأول من العام الماضي، أدان البيان واستنكر تصريحات أحد موظفي الحكومة المؤقتة، كما طالب باتخاذ إجراءات قانونية من قبل الحكومة المؤقتة بحقه.

ولا تعترف الهيئة السياسية بأي حكومة، وهي ضد أي حكومة تتشكل في الداخل المحرر، وذلك تجنبا لتقسيم البلد بحسب الخالد الذي أردف: "هناك حكومة مؤقتة، وحكومة إنقاذ، وحكومة pyd، عدا عن حكومة النظام، هذا يعني أربع حكومات لسوريا وهذا مصدر خوف لنا كهيئة سياسية لأنه يعبر عن واقع تقسيمي".

وتساهم الهيئة حاليا بالعمل على تجميع الهيئات السياسية المشكلة في المحافظات الأخرى في جسم واحد هو الهيئة السياسية السورية في الداخل، يكون هو الممثل الحقيقي الثوري، وصوت الداخل المعبر عن أهداف وتطلعات السوريين، وهو ما يعطي وزنا سياسيا أكبر، إذ يوجد فرق كبير عندما تتحدث باسم هيئة سياسية لمحافظة إدلب، وبين أن تتحدث باسم تسع هيئات سياسية، يتم الآن تشكيل لجنة تحضيرية لاندماج هذه الهيئات في جسم واحد، بحسب الخالد.

من جانبه يفترض الناشط السياسي يسار باريش عدم وجود ترتيب للمهام، ما يعطي انطباعا بوجود قنوات تواصل من قبل بعض أفراد الهيئة ببعض الفصائل، وقد يخضعون لبعض الضغوط، وبالتالي تتراجع قدرتهم على امتلاك القرار السياسي المستقل، لكنه يؤيد وجود الهيئة على أمل تحقيق جهد تراكمي يصل إلى هيئة سياسية على مستوى سوريا، لأن ارتهان الأجسام السياسية في الخارج أسوأ بكثير من الارتهان النسبي للهيئة السياسية في إدلب من خلال بعض الأشخاص وعبر بعض قنوات التواصل مع الفصائل وعلى رأسهم ما يسمى بحكومة الإنقاذ.

لا شك أن العمل السياسي في المناطق التي تشهد معارك واقتتال فصائلي وصراع سلطوي هو عمل في حقل ألغام محفوف بالمخاطر، لكن من يتقدم لتمثيل صوت الثورة وأهدافها يتعيّن عليه تحمل مسؤولية كبيرة أقلها مواجهة السلاح وانحراف البوصلة.

مشاركة المرأة في الهيئة السياسية بإدلب

خلت الحقبة التأسيسية الأولى للهيئة السياسية من أي تواجد للعنصر النسائي فيها، إلا أن توجه أعضاء الهيئة بمشاركة المرأة فيها، وإيمانهم بضرورة مشاركتها في العمل السياسي، وحقها الطبيعي في ذلك، جعلهم يستدركون الوضع، لتدخل المرأة في أول اجتماع نصف سنوي من الدورة الأولى للهيئة، وليتم بعد ذلك تخصيص مكتب للمرأة فيها، دون أن يقتصر تواجد المرأة على هذا المكتب فقط.

وعد البلخي

عن مشاركة المرأة في الهيئة السياسية قال رئيسها "عاطف زريق" لزيتون: "أفرد للمرأة مكتب خاص في الهيئة السياسية، تقوم بالانتساب له عن طريق الدوائر، كما أن لها الحق بالترشح لرئاسة الهيئة، وقد تكون رئاسة الهيئة في الدورة القادمة من نصيب إحدى العضوات، ولدينا حالياً عضوتان في المكتب التنفيذي، هما مديرة المكتب المالي، ومديرة مكتب المرأة، ويشكل العنصر النسائي في الهيئة في الوقت الحالي أكثر من ٢٥٪ من نسبة الأعضاء، والعدد في ازدياد".

وعن بداية إشراك العنصر النسائي في الهيئة قال مدير مكتب العلاقات العامة في الهيئة السياسية "غانم خليل" لزيتون:

"كنا متفقين على أهمية وجود المرأة بجسد الهيئة ومشاركتها معنا بالعمل السياسي، وقمنا بدعوة من وصلنا إليهن من النساء الفاعلات والناشطات بالمحافظة، وفي الملتقى النصف سنوي الأول دخلت المرأة المكتب التنفيذي، وكان هناك رأيين في ذلك الحين، الأول هو إحداث مكتب للمرأة في الهيئة يتابع كل شؤون المرأة، بينما كان الرأي الآخر هو عدم حصر دور المرأة بمكتب واحد".

من جانبها تعتبر مديرة المكتب النسائي في الهيئة السياسية "حسناء تمرو" أن الحياة بأكملها تقوم على مبدأ السياسة، فالمرأة لها سياستها بالبيت، ولها سياستها بالعمل، وسياستها بالمجتمع، فالحياة والسياسة متلازمتان، إذا اعتبرنا أن السياسة هي إدارة أو فن الممكن، وأن وجود المرأة بالعمل السياسي ليس أمراً جديداً، فهي موجودة منذ القدم، ووجودها الآن طبيعي لأنها جزء من هذا المجتمع، وأي عمل أو قرار ستكون المرأة جزء من تنفيذه، لذلك يجب أن تكون جزءً من صنع القرار، فهي أولاً وأخيراً مع الرجل بكافة مجالات الحياة.

أما عن مشاركتها بالهيئة السياسية قالت "التمرو": "في الدورة الأولى كان وجودنا كنساء ضمن الهيئة دون انتخابات، أما في الدورة الثانية فقد وصلت عبر الانتخابات لإدارة مكتب المرأة الذي أحدث في الاجتماع النصف السنوي الأول، والذي يضم حالياً نحو خمسون ناشطة، كما نجحت مديرة المكتب المالي بالانتخابات أيضاً".

بينما ترى مديرة مكتب المرأة والطفل في جبل الزاوية "فاطمة الحجي" أنه يجب على الهيئة السياسية أن تعتمد في انتقائها لأعضائها على النوع وليس العدد، وأن تنتقي الأشخاص القادرين على العمل السياسي حتى تنجح وتفيد المجتمع، فالسياسة تحتاج لعمق وبعد استراتيجي، وثقافة عالية ودراية كافية ومتابعة دائمة، لأنها تحدد مصير بلد، مضيفةً: "لو كان هناك ممارسات سياسية جيدة، ووعي شعبي بأدوار السياسة، لما زلنا بعد سبع سنوات من الثورة في نفس المكان".

وتشجع "الحجي" النساء على خوض التجربة السياسية بشرط أن تقرأ وتتثقف وتتسلح بكل المقومات السياسية أولاً، مؤكدةً أن الهيئة السياسية لم تغفل حق المرأة بالمشاركة بالعمل السياسي.

مديرة مركز المرأة ورعاية الطفل في إحسم "نجاح سرحان" عبرت لزيتون عن رأيها بالهيئة السياسية والعمل السياسي في محافظة إدلب بقولها: "جميع الهيئات والتجمعات السياسية التي ظهرت في المحافظة لم تكن على قدر كاف من الفاعلية، نحن نعلم أن السياسة كلام وتنظير، ولكن يجب أن تحدث تغيير على الأرض، **وجميع هذه الهيئات ومن بينها الهيئة السياسية لم تغير شيء على أرض الواقع، وما زالت قيد الإنشاء والتطوير، ويجب أن تسعى لتطوير نفسها بما يتناسب مع الواقع".**

أما الناشطة في مجال حقوق المرأة "غادة باكير" من ريف إدلب، فترى أن **الهيئة السياسية غير قادرة على بلورة رأي سياسي في الداخل، وتكون ذات دور فعال في حال تمكنت من أداء عملها من دون التعرض لها من قبل الفصائل التي تمنع أي نشاط للمثقفين والسياسيين**، وبقدر ما تكون مستقلة بقدر ما تحقق النجاح في عملها، مؤكدةً أن الهيئة لعبت دوراً واضحاً في بعض القضايا، وأن وجودها في الداخل أمر ضروري في ظل الأوضاع الحالية، على الرغم من عدم وصولها إلى مرحلة النضج بعد.

كذلك تعتبر الناشطة السياسية والاجتماعية "عريفة الموسى" أن الهيئة السياسية تضم عناصر على قدر كبير من الوعي السياسي، ولهم دور كبير في التوعية السياسية في الداخل السوري، ولذلك وفي ظل غياب أي تيار أو حزب سياسي، قد تكون الهيئة قادرة على بلورة رأي سياسي يمثل الأهالي، والذين يحتاجون لمن يتقدم بمواقف سياسية واعية قد تكون مرشدا لهم لفهم الواقع السياسي المعقد، ولكن حتى تستطيع أي جهة تطبيق أي قرار على أرض الواقع يجب أن تتجرد من أي أجندة خارجية، وهو ما تراه "الموسى" أمراً صعباً في المرحلة الحالية.

آراء نشطاء ومثقفين بالهيئة

"أحمد صباح" ناشط مدني يرى في طريقة تأسيس الهيئة والانتخابات التي تم فيها انتقال رئاستها ديمقراطية واعدة، ورغم اقتصار عملها على إصدار البيانات بغض النظر عن مدى قدرتها على إيصال صوتها للجهات التي خاطبتها كالمنظمات الأممية، كانت ضرورية كرأي سياسي يقدم الخيار والموقف تجاه قضايا خطرة كمجزرة خان شيخون للسوريين والعالم.

ويرجع "الصباح" عدم ميله للعمل السياسي أو لأية تيارات سياسية إلى الحالة السلبية في الأربعين عاماً الماضية من المزاودة والمتاجرة بالشعارات، ودائماً تكون على حساب العمال والفلاحين، ما دفعه إلى الظن بأن كل سياسي كاذب، مؤكداً أن الواقع الآن بحاجة للعمل السياسي.

ويعتقد "محمد علي الطويل" بعدم وجود تيار سياسي ناجح الآن، مستدلا بما وصلت إليه الثورة من تراجع كبير، ويرى أن للسياسيين القدامى القدرة على قيادة الثورة، لما لهم من خبرة وعلاقات دولية لكن المؤسف اعتزالهم أو عزلهم عن العمل السياسي.

وانتقد "خالد القاطوف" الهيئة السياسية بسبب ضيق قاعدتها الشعبية، رغم أنها كفكرة جيدة وضرورية، ولا سيما أنها الأكثر نشاطا الآن، إلا أنها بهذه القاعدة البسيطة لا تستطيع التأثير على الشارع، كما أن انتقائيتها لأعضائها في المناطق ومحدودية قبولها للأعضاء يؤثر على انتشارها.

الناشط السياسي وعضو التجمع الثوري السوري "حسين أمارة" يرى أن كل التجمعات السياسية في الساحة السورية هزيلة بما فيها الهيئة السياسية، وهي عاجزة عن بلورة رأي سياسي يمثل الناس، كما أنها بعيدة كل البعد عن تطبيق أي قرار على أرض الواقع، ويحمل المسؤولية في ذلك للجميع، مدنيين وسياسيين، مرجعا السبب إلى غياب النضج السياسي.

ويصف الناشط مروان دغيم تجربة الهيئة السياسية بالجيدة، لكنها دون المستوى المطلوب، شأنها شأن كل الأجسام السياسية سواء داخل أو خارج البلد، مؤكداً: "الكل يعلم أننا خارجين من رحم الاستبداد ولدينا تصحر على كافة المستويات، لا أعتقد حالياً وحسب الواقع الذي تعيشه الهيئة السياسية في ظل سيطرة القوى المناوئة للثورة أنها قادرة على بلورة رأي سياسي يمثل الناس، لأن تمثيل الناس يحتاج إلى جو من الحرية وهذا الجو حالياً مفقود".

ويرى دغيم أن من أحد أخطاء الهيئة السياسية أنها حصرت عضويتها على الأفراد داخل البلد، علماً أن الأجسام السياسية عادة تستقطب أكبر عدد من الناس وتستفيد من خبراتهم وتجاربهم بشكل عام، مشيراً إلى أن دورها كان إعلامياً أكثر مما هو سياسي، لافتاً إلى اقتصار عملها على الاجتماعات والبيانات لأحداث كانت تمر على الساحة السورية، ببيانات خجولة غير قادرة على قول كلمة الحق وممارسة دور سياسي حقيقي وواضح، وهذا ما يحتاجه الشعب السوري بحسب الدغيم.

خطوبة بطعم الدم.. وفرح تحول إلى مأتم

ياسمين جاني

كانت «رولا» تحتفل بخطوبتها، وكل الأحبة حولها، جاؤوا يشاركونها فرحها، كما هي عادة السوريين، أملاً في أن يعم الفرح أجواء المكان، وينشر أجنحته على الحاضرين والغائبين، ويطغى على الحزن والألم الذي يعيشونه منذ عدة سنوات، ولو لساعات فقط.

حاولت رولا وعائلتها التمرد على الأجواء التي فرضها عليهم نظام الأسد، فأعلنوا العصيان، واتفقوا على الفرح، إلا أن الأسد وطائراته استكثروا على رولا وعائلتها أن يشعروا بسعادة مؤقتة، لن تزيد في الأصل عن ساعة أو اثنتين، فهي لم تكن حتى حفلة خطوبة.

أُعلنت خطوبة رولا، فاتفقت نساء عائلة «هلال» على الاجتماع في أحد منازل العائلة، لتهنئة العروس وإشعارها بالسعادة كأي عروس سواها، فاصطحبن أطفالهن وذهبن كما اتفقن، ولكن طائرات النظام وروسيا كانت بانتظارهن، تتربّص بهن وكأنهن هدف عسكري خطير، كان ذنبهن أنهن حاولن إيجاد فسحة من السعادة، وممارسة حياة شبه طبيعية.

عاجلتهن الطائرات بصاروخ، فكان الموت أسرع إليهن من الفرح، وتحولت الأيدي التي كانت تنوي التصفيق، والشفاه التي كانت تتحضر للغناء إلى قطع متناثرة، وبدل أن تنشر الفرح على محيطها كما كانت الغاية من الاحتفال، انتشرت الأشلاء والشظايا في كامل الحي، ووزعت الحزن والألم على مدينة جسر الشغور بأكملها.

كان من المفروض أن ترتدي «رولا هلال» بعد فترةٍ ثوبها الأبيض، وتُزفّ إلى منزلها الجديد، لتبدأ حياةً جديدة، إلا أنها ارتدت كفنها الأبيض، وشُيّعت أشلاؤها إلى قبرها، وكل نسوة العائلة وأطفالها الذين جاؤوا ليشاركوا رولا فرحها، شاركوها مصيرها، وأُخرجوا في تشييع جماعي، بدلاً عن الزفة التي كانوا سيحضرونها لاحقاً، لعريس بات مصيره مجهولاً، باستثناء «فاديا»، التي ذهبت لغرفة أخرى قبل سقوط الصاروخ بدقائق.

«فاديا هلال» الناجية الوحيدة من تلك المجزرة، والتي حالفها الحظ من وجهة نظر الجميع باستثنائها، فما تعيشه من ألم فقدانها لأخواتها وأقاربها من النساء والأطفال الذين كانوا متواجدين في ذلك اليوم، وأصبحوا ذكرى، وما يدور في خيالها وذاكرتها من هول ما شاهدته حينها، يجعلها ترى عكس ما يراه الآخرون.

تقبع فاديا منذ ذلك اليوم في محراب حزنها، وتبكي بحرقة كلما تذكرت أخواتها، وتعتبر أنها على قيد الحياة بجسدها فقط، أما روحها فقد ماتت مع أفراد عائلتها، وتقول أن شهر كانون الأول هو أصعب شهر من بين أشهر السنة بالنسبة لها، فهو يعيد إليها شريط الذكريات المؤلمة، وكأن المجزرة تتجدد فيه كل عام، ففيه قتلت طائرات الأسد وروسيا أحبّتها.

وتضيف فاديا: «على الرغم من أنهم لا يغيبون عن ذاكرتي أبداً، إلا أنه كلما اقتربت ذكرى استشهادهم، تتفتح جروحي، وتستعيد ذاكرتي مآسٍ تكاد تخنقني، وأتذكر مدى الفرحة التي كانوا يشعرون بها قبل قصفهم، ولاسيما فرحة العروس التي استشهدت قبل أن تكتمل فرحتها».

أما «محمد هلال» أحد أفراد العائلة التي فقدت نسوتها وأطفالها، والذي يعمل ضمن فريق الدفاع المدني في مدينة جسر الشغور، فلم يكن وقع المجزرة بأقل تأثيراً عليه من فاديا، ولم تكن صدمته أقل، فهو الذي توجه مع زملائه لمحاولة إنقاذ مصابين، فإذا بأشلاء أقاربه تتناثر في كافة أرجاء المكان.

يقول محمد لزيتون: «عند أذان الظهر في يوم الجمعة، وعندما كان الرجال في المساجد، أغارت الطائرات الروسية على الحي الشمالي من مدينة جسر الشغور، فتوجهت مع عناصر الدفاع المدني إلى مكان الغارة، وإذا بها قد استهدفت منزل عمي، حيث كانت نساء العائلة مجتمعات».

ورغم أن المجزرة حدثت قبل أكثر من عامين، غير أن محمد لا يستطيع نسيان أي تفصيل من تفاصيلها، والتي عبر عنها بقوله: «كان مشهداً لا يمكن وصفه، فقد تم انتشال جميع الأشلاء من الشارع، إذ أن حجم الضغط الذي أحدثه الصاروخ دفع بجميع من كان في المنزل إلى خارجه، جثثا متقطعة وأشلاء متناثرة، وكلها جثث لنساء وأطفال عائلتي».

ويضيف محمد: «ثمانية نسوة، وسبعة أطفال، زوجة أخي وابنته، وبنات عمي وأطفالهن ومن بينهن العروس رولا، كلهم أشلاء، باستثناء فاديا التي عثرنا عليها في المنزل المجاور، وقد أُصيبت وكُسرت يدها، فتم نقلها إلى المشفى».

«ياسمين» ليست من أفراد عائلة هلال، ولكنها ممرضة في مشفى جسر الشغور، كانت شاهدة على الحادثة، وشاهدت الجثث والأشلاء والناجية الوحيدة المصابة، عندما تم نقلها إلى المشفى الذي تعمل فيه.

تقول ياسمين لزيتون: «عند حدوث الغارة هرعت سيارات الإسعاف إلى مكان الاستهداف، وتم استنفار جميع كادر المشفى لاستقبال الإسعافات، إلا أن أول سيارة وصلت للمشفى كانت عبارة عن بطانيات تحتوي على أشلاء مقطعة، فجسد العروس مقسوم لقسمين، وهناك طفل بعمر السنة كانت أحشائه قد خرجت من بطنه، هذه كانت أكبر القطع الموجودة في هذه البطانيات، أما البقية فقد كانت عبارة عن أيدٍ وأرجل، أو أجزاء منها، لدرجة أننا لم نعرف كم شخص يوجد في كل منها».

وتضيف الممرضة: «تبع ذلك وصول دفعة جديدة كانت بينهم امرأة مازالت على قيد الحياة، تم تحويلها إلى إحدى المشافي المتخصصة بعد إجراء الإسعافات الأولية لها، واستمر عمل الدفاع المدني لليوم التالي، وذلك للبحث عن طفل كان مفقوداً، وقد تم انتشاله شهيداً من تحت الأنقاض».

ياسمين الممرضة التي شهدت وتشهد الكثير من الحوادث من قصفٍ وغيره، تصف ذلك اليوم بأنه من أقسى الأيام التي مرت على المشفى والعاملين فيها، وعلى المدينة حتى هذه اللحظة، فمشهد الجثث والأشلاء والأحشاء التي تعود لأطفال ونساء مشهد يدمي القلب، ولكن المشهد الأقسى والأكثر تأثيراً في نفس ياسمين، كان لسيدة حامل في الشهر الثامن، وقد وجد جنينها إلى جانبها مستشهداً أيضاً.

في الثامن عشر من شهر كانون الأول عام ٢٠١٥، فقدت عائلة هلال ١٥ شهيداً من أفرادها، ولكن هذه المجزرة ليست الوحيدة، فكل يوم من أيام السنة يحمل ذكرى لأحد السوريين وعائلاتهم، ربما لم يكونوا في حالة آل هلال متجمعين من أجل خطوبة، لكن أسلحة النظام كانت لهم بالمرصاد في ساحات الأعياد، والمساجد، وكروم التين أو الزيتون.

يوم عصيب على جسر الشغور

صباح عادي كبقية الصباحات، كانت بعض الرمايات المتقطعة تسقط على المدينة بروتينها اليومي، استقبلها الأهالي بملل التكرار، بل وتعايشوا مع هدايا جيرانهم في معسكر جورين القريب من المدينة، هذا القرب الذي مكنهم من سماع صوت انطلاق القذائف من مدافعها وراجماتها، ما يمنحهم فرصة التحصن والاختباء قبل سقوطها عليهم، رغم أنها نادرا ما كانت لتصل إلى وسط المدينة مركزة على أطرافها وريفها.

لكن الأمر الغريب اليوم هو عودة الطيران الحربي إلى سماء المدينة، بعد غياب لفترة ليست بالقصيرة، كان خلالها يمر بشكل عابر مستهدفا الريف الغربي لجسر الشغور، ما قلل من حجم الخسائر البشرية،

عودة الطيران قلب المدينة رأسا على عقب، فبعد الرمايات الصاروخية التي لم تسفر عن ضحايا، بدأ طيران الاستطلاع بالتحليق فوق المدينة ومسح المنطقة بأكملها، ليغير بعده الطيران الحربي في وقت الظهيرة بغارة جوية أدت إلى إصابة طفل إصابة بليغة أثناء محاولته الهروب من قصف الطيران ليتعرض لحادث سيارة صدمته، كما أدت إلى دمار كبير في الممتلكات، تبع الغارة ٤ غارات أخرى استهدفت الريف الغربي وأدت لاستشهاد ثلاث مدنيين وعدة جرحى.

التحليق المستمر للطيران في سماء المدينة فرض حالة من الرعب لدى الأهالي دفعهم إلى النزوح للريف القريب الأكثر أمناً، وخلت المدينة من ساكنيها بعدما غادروها على عجل، ومن بقي فيها تحصن في ملجئه، أو عجز عن إيجاد وسيلة نقل أو مكان في الريف.

ورغم خلو المدينة فإن القصف لم يتوقف، وفي زمن قصير سقطت أكثر من ٦ صواريخ من راجمات جورين مستهدفة شارعا رئيسياً وحياً في وسط المدينة، سحب الدخان التي غطت المكان حجبت الرؤية في الشارع، وملأت المكان بالحجارة والغبار، من تأخر بالخروج لم يعد يستطيع المغادرة إلا بعد توقف القصف، وتوجه سيارات الإسعاف وفريق الدفاع المدني لتفقد المكان والتأكد من عدم وقوع إصابات.

منذ الصباح وحتى ساعة كتابة هذا النص لم يتوقف الطيران الحربي والمروحي وطيران الاستطلاع والرمايات الصاروخية والمدفعية الكثيفة عن استهداف المدينة وريفها، يوم عصيب تعيشه مدينة جسر الشغور، في وقت بدأ الناس فيه بالسؤال حول أسباب عودة القصف وعن مدة استمراره أو توقفه دون جواب من أحد، في تخوف من عودته المستمرة لما كان عليه عند تحرير المدينة.

عنوانه كل بيت.. فريق لقاح سوريا

كيف لي يا صغيري أن أقنعك أنه قلم لأوسم إصبعك الصغير به، وليس إبرة، ربما من الأسهل عليّ ومن الأفضل لكلينا أن أخط على أنفك، وأن أرسم لك شارباً، فربما أرسم به البسمة على وجهك ووجوه أصدقائك في الحي، وأُنسيهم وأُنسي نفسي هدير الطائرات وصفير البراميل الذي يرافقنا في معظم الأحيان.

ربما أستطيع طرد خوفك واستمالتك ببالون، وربما تحاول الضحك عليّ فتأخذ البالون ثم تتركني أركض خلفك محاولاً الإمساك بك، قد أدخل في مرحلة طويلة من المفاوضات، من قبل من؟، بالوناً أم نقطتين بين شفتين؟.

قد أجد لي سبيلاً إلى قلبك، بينما لا أجده إلى قلب سواك، فيبكي منذراً بقية أطفال الحي أن اهربوا، لأبدأ بلعبة كنت ألعبها عندما كنت في عمركم، وأركض أنا وأمهاتهم، كلّ منا في اتجاه، للإلقاء القبض على طفل بريء بجرم الطفولة، وكلّ ذلك فقط لأضع نقطتين بين شفتي كل منكم، دون أن تدركوا أنكم بهاتين النقطتين أو الوخزة ستحملون على أكتافكم أحلاماً ومستقبلاً نقياً كنقاء قلوبكم.

بشار الخالد

في كل لحظة لنا حكاية، ولكل بيت قرعنا بابه ذكرى تقرع فؤادنا، وكل طفل خططنا له شارباً أو وسمنا له إصبعه صورة طُبعت في ذاكرتنا، ارتبطت بمحاولاتنا التي قمنا بها إلى أن وصلنا إليها.

هذا ما كان يدور في ذهن أحد أفراد فريق لقاح سوريا أثناء رحلاتهم في القرى المحيطة قبل البدء بقيامهم بواجبهم في تقديم اللقاحات للأطفال.

فريق لقاح سوريا.. لقحوا أطفالكم لتدوم أحلامهم

بدأ مشروع لقاح سوريا بعد توقف المؤسسات الصحية عن تقديم خدماتها، لا سيما اللقاحات لما لها من أهمية، ولخطورة غيابها، الذي قد يؤدي إلى نهايات بائسة وكارثية على المستوى الصحي والمجتمعي.

غياب اللقاحات بالتحديد كان شبحا مخيفا يخيم على المناطق المحررة، وينبئ بنتائج مستقبلية كارثية لحساسيته وخطورته، ومن هنا بدأت حكاية فريق لقاح سوريا تحت شعار «لقحوا أطفالكم لتدوم أحلامهم».

مشرف منطقة في فريق لقاح سوريا الطبيب «عروة الخالد» تحدث لزيتون عن نشوء الفريق وأهدافه قائلاً: «نشأ فريق لقاح سوريا في بداية عام ٢٠١٤، في ذلك الوقت لم تكن لقاحات الأطفال متوفرة، وظهرت عدة حالات إصابة بفيروس شلل الأطفال في مناطق مختلفة من المحافظة، فقام عدد من الأطباء بتشكيل مجموعة عمل، وانضم لهم العديد من المتطوعين، بدأ بعدها الفريق بمحاولات تأمين لقاحات الأطفال عن طريق التواصل مع منظمات المجتمع المدني ومنظمة الصحة العالمية».

وأضاف «الخالد»: «قام فريق لقاح سوريا بتنفيذ عدة حملات تلقيح بشكل احترافي، وأثبت كفاءة عالية، مما أدى إلى الحصول على جميع اللقاحات الروتينية، وافتتاح مراكز لقاح روتيني ثابتة، تغطي كل محافظة إدلب، وتقدم جميع اللقاحات وطيلة أيام العام».

تحديات الفريق كانت في تكامل عملية التلقيح وخطورة اقتصارها على منطقة دون أخرى، فالتلقيح حلقة كاملة لا تعطي مفعولها في حال عدم شموليتها، وهو ما فرض جهودا إضافية على الفريق وإدارته، كما فرض أن تكون حملات اللقاح شاملة لكل المناطق بتوقيت واحد، تحسباً لعدم حصول جميع الأطفال على اللقاح، وخصوصاً بعد أن فقدت بطاقات التلقيح لدى الأهالي، ولم يعد هناك إمكانية لحصر لقاح الطفل سابقاً.

التحدي الأخر الذي واجهه فريق لقاح سوريا هو خطورة عدم حصول الأطفال على اللقاح، وكارثية انتشار مرض معدي من الأمراض التي يستهدفها، إضافة إلى العمل تحت ظروف أمنية خطرة، إذ لا تخلو المنطقة من القصف المستمر، والذي قد يهدد حياة العاملين في الفريق للخطر، نتيجة لتواجدهم في الأماكن المكشوفة والأحياء.

كما يرى رئيس مركز لقاح سراقب الطبيب «عبد الله هلال» أن عمليات النزوح كانت من أكثر الصعوبات التي واجهت العمل، موضحاً: «حركة النزوح المستمرة وظهور المخيمات وانتشارها في أماكن عدة، وانتقالها بشكل يومي هربا من العنف، وتغيير سكن الأهالي بشكل دائم في المزارع المحيطة والمتطرفة عن المدن، تطلب جهداً إضافياً وجباراً في حاجتنا للمسح الجغرافي للمناطق والقطاعات، مع متابعة كل التغيرات على الأرض، وتحديث خطة عمل الفرق بشكل مستمر لكي نتمكن من إعادة توزيع الفرق والوصول لجميع الأطفال».

وأضاف الطبيب هلال: «نحن على وشك إطلاق جولة لقاح جديدة، كان قد تم تأجيلها عدة مرات بسبب الظروف الأمنية، وتعرض المركز للاستهداف المباشر من الطيران الحربي عدة مرات، كان آخرها في ٥ شباط الماضي، أسفر عن تدميره بشكل كبير، ما أخرجه عن الخدمة وأفقدنا معظم معدات حفظ اللقاح وحوامله».

وشهدت المناطق المحررة ازديادا كبيرا ومستمرا من النازحين من المناطق الشرقية لريف حماه ودير الزور، بعد المعارك التي شهدتها مناطقهم، التي تفتقر بالأساس إلى الخدمات الصحية بما فيها اللقاح، الأمر الذي شكل عبئاً إضافياً على الفريق، في محاولته لتغطية جميع الأطفال المتواجدين باللقاح، عن هذا الموضوع قال المشرف على أحد الفرق «أحمد شيخ أحمد»:

«كل طفل يعيش في المناطق المحررة هو هدف لنا، نعاني من ضعف ثقة الأهالي النازحين من المناطق الشرقية، ورغم أن لديهم أطفال تجاوزوا الرابعة من عمرهم، إلا أنهم لم يتلقوا أية لقاحات، وهو ما يشكل خطرا عليهم وحتى على باقي الأطفال الملقحين، وبسبب عدم تعاملهم مع فرق لقاح مسبقا يجدون صعوبة في تقبلنا والثقة في لقاحاتنا، جزء كبير منهم يتخلون عن مخاوفهم بعد رؤية الأهالي المحليين وهم يجلبون أطفالهم للقاح».

مهمة فرق التلقيح هي في زيارة كل بيت وخيمة ومزرعة، ويجد أعضاء هذه الفرق ترحيباً من كافة الأهالي، الذين يدركون نبل المهمة، وحجم التعب الذي يبذلونه.

المشرف في فريق لقاح سوريا في قرية جوباس «عبد الكريم برغوث» يقول لزيتون: «نشعر بالسعادة عندما نرى علامات الرضا على وجوه الأهالي، ليس كون عملنا إنسانياً فقط، بل لمنح الصغار الحماية الصحية، وتوفيرها لهم في المناطق البعيدة والنائية، وكثير من الأهالي يقدمون المساعدة بإبلاغ جيرانه بقدوم الفريق».

ويضيف «برغوث»: «تقديم الشاي ودعوتنا للراحة في بيوتهم تمنيات الأطفال بالعمل معنا حين يكبرون، كلها مشاهد تدفعك للمثابرة أكثر في عملك، وقد نطلب المساعدة من فرق أخرى لتغطية المنطقة في حال رصد مخيمات صغيرة جديدة أقيمت أثناء فترة اللقاح».

يؤكد أعضاء فريق لقاح سوريا السابقون والحاليون، أن هناك لحظات واجهتهم أثناء عملهم، تبقى ساكنةً في ذاكرتهم، يجمعهم إيمانهم بعملهم، وثقتهم بفريقهم الذي يعمل بجد وتفانٍ منقطع النظير، وبتنسيق عالي المستوى، إضافةً لتضافر جهود كل أعضائه، كي يحافظوا على مجتمع خالٍ من الأمراض.

أما أصعب المواقف التي تعرض لها أعضاء فريق لقاح سوريا، بحسب أحد أعضائه، فهو ذاك الباب الذي لن ينسوه، والمرسوم في أحداقهم أبداً، والذي تمنوا لو أنه بقي موصوداً، يخفي وجع ذلك الأب الذي خرج إليهم، وردّ على طلبهم باكياً: «أطفالي الأربعة ماتوا بقذيفة يا عمو، يا ريت ضلوا وتلقحوهم».

الأسواق الإلكترونية في إدلب ما بين الرفاهية والحاجة

أسامة الشامي

لم يكن يتخيل السوريون يوماً أن يكون لهم أسواقاً افتراضية في عالم "فيس بوك" تغنيهم عن الذهاب للأسواق العامة بكثير من الاحتياجات، إلا أن هذا الأمر الغير متوقع سابقاً بات حقيقة اليوم في ظل الظروف الحالية التي هيأت الأرضية له، حيث أن الاستهداف المتكرر للأسواق من طائرات النظام وروسيا، ووقوع العديد من المجازر فيها جعلت من الأسواق العامة مكاناً خطيراً على الناس، لاسيما وأنها أماكن للتجمعات التي تبحث عنها طائرات القتل.

وبالبحث عن بديل سهل توفر معطيات انتشار خدمات الإنترنت بأسعارها الجيدة وما رافقها من انتشار لثقافة التواصل الاجتماعي، تم توفير عشرات الأسواق الإلكترونية في محافظة إدلب.

كل ما يخطر ببالك، من سيارات ودراجات نارية، إلى المضخات والمحاصيل الزراعية، والموبيليا، إلى العقارات والبيوت والأراضي الزراعية، تجدها معروضة بتفاصيلها وبإمكانية الإطلاع عليها بشكل واف، دون وجود أية مخاطر في عمليات نقل الملكية والغش، هذه المزايا ساهمت في ازدهار هذه المواقع وزخمها وارتيادها من قبل الأهالي.

"علاء الدين الأحمد" تاجر موبيليا في سهل الروج، لم يعد يحتاج حتى لمحل يعرض فيه بضاعته، حيث يقول لجريدة زيتون: "أنا مشترك بعدة أسواق على الفيس بوك، وأعرض بضاعتي عليها فغرفة النوم التي لا تباع بأول منشور تباع بمنشور غيره، كامل بضاعتي تباع بهذا الشكل".

كما أن هذا النوع من التسوق يوفر على التجار جهداً ومالاً إضافة للأمان، كما يروي "الأحمد" حيث يقول: "أعرض غرفة النوم بسعر أرخص بثلاثين ألف ليرة سورية عن مثيلتها بالمحلات، فليس لدي تكاليف محل، وأقوم بإيصالها للزبون الذي يشتريها، وهكذا أحصل على أجور النقل أيضاً، ومن جانب آخر تصل للزبون دون عناء أو مخاطرة وبسعر أرخص وهذا المطلوب لدى جميع الناس اليوم".

مؤسس ومدير سوق كفرنبل التجاري الإلكترونية "أحمد اسعد الشبلي" تحدث لزيتون عن تجربته قائلاً: "أنشأت هذا السوق في بدايات عام ٢٠١٦، أسوة بالأسواق المنتشرة في المناطق الأخرى، وكان هدفي تسهيل عمليات البيع والشراء على الأهالي، وكنت أدير السوق بمفردي، أما الآن فقد وصل عدد المشتركين بالسوق إلى أكثر من سبعة وعشرون ألف عضو، وأصبح معي ٣ مشرفين على السوق".

وأضاف "الشبلي": "أكثر البضائع التي يتم تداولها في الأسواق الإلكترونية هي الدراجات النارية والهواتف النقّالة والسيارات، تليها غرف النوم والعقارات، ونسبة الاستفادة منه عالية، حيث أتابع الكثير من عمليات بيع تتم عبره، بالإضافة إلى نتيجة استبيان قمت بإعداده حول فائدة السوق، وصوّت خمسون بالمئة من الأعضاء إيجاباً

آلية العرض والشراء

يفترض بالبائع أن يقوم بتصوير بضاعته بطريقة شاملة، بشكل يسمح للمتسوق أن يعاينها بشكل واضح، مرفقاً الصور بشرح نصي عن مزاياها وعيوبها وسعرها في منشور على السوق الإلكتروني، تبدأ بعدها عملية التفاوض بالتعليقات عليه حتى تتم عملية البيع.

يقول المدرس "محمد الخالد" الذي باع سيارته بسوق "سرمدا الإلكتروني لتجارة السيارات": "قمت بتصوير السيارة عشرة صور، بحيث أظهرت كل جوانبها وفرشها ومحركها، وبعد الاتفاق مع المشتري عبر دردشة خاصة تم الاتفاق على التفاصيل ليحضر بعدها ويشتريها".

وهناك طريقة أخرى للشراء تعتمد أسلوب عكسي، حيث ينشر شخص على حاجته لسلعة كذا مثلاً بمواصفات معينة، ومن يملك مثل هذه السلعة يقوم بعرضها عليه.

تصنيفات الأسواق الإلكترونية

تصنف هذه الأسواق إلى نوعين، تبعاً للمنطقة أو نوع البضاعة، إذ تُسمى الأسواق بأسماء مناطقها مثل "سوق أريحا التجاري، سوق سرمدا، سوق حارم" وغيرها الكثير من الأسواق الأخرى.

أما الأسواق النوعية فهي التي تنشأ وتختص بنوع محدد من البضائع كسوق السيارات، أو سوق الطيور، أو سوق الجوالات وغيرها من الأنواع الأخرى.

ولهذه الأسواق إيجابيات وسلبيات، ويعتبر عامل الأمان والحماية من التعرض للخطر في الأسواق الشعبية من أهم إيجابيات هذه الأسواق، كما أنها تشكل صلة وصل تجارية بين مدن وبلدات المحافظة، ودون سماسرة وأجور تنقلات وغيرها، فهي توفر على الأهالي الجهد والمال بالبحث عن احتياجاتهم، ويجعلهم على إطلاع دائم بالبضائع المعروضة للبيع وأسعارها ومواصفاتها وأماكن تواجدها، بالإضافة إلى أنها تحد من عمليات السرقة، إذ لا يمكن عرض المسروقات في هذه الأسواق، لأنها المكان الأول الذي يتم البحث فيه عنها، ولكنها مع ذلك تحدث في بعض الأحيان، ولكن في حالات نادرة، بحسب أحد مشرفي سوق ادلب للمستعمل "محمود اليمان".

كما أن لهذا النوع من الأسواق ميزة إضافية، في عرض السلع والبضائع على عدد هائل من المتسوقين، وهو ما يحقق عرضاً جيداً قد لا تحصل عليه في الأسواق الواقعية، ما يمنحها نسبة أكبر بالرواج والتسويق، كما يمكن أن يجذب أناس لتسوق سلع لم تكن تنوي شرائها بحكم الحاجة، إنما جذبهم حب التجارة والربح.

تستمر الحياة ولو تغيرت مسالكها، هذا حال السوريين الذين يبدعون في تلائمهم مع الظروف، فإن منعتهم الطائرات من الالتقاء بالأسواق العامة، يلتقون بأسواق إلكترونية، يتحدون قاتلهم ومدمر أسواقهم ومحلاتهم بأسلوب حضاري، لم يصلوا إليه رفاهية، بل بسبب الحاجة والإبداع.

سعر الديزل يسلب أهالي إدلب الكهرباء

مع نهاية شهر شباط أصدرت مؤسسة كهرباء مدينة إدلب برنامجا بساعات تشغيل الأمبيرات الجديد، حددت فيه عدد ساعات تشغيل الكهرباء بساعتين يومياً مقابل ٢٥٠٠ ليرة سورية شهرياً للأمبير الواحد، وللاقت الخطوة استياءً شعبياً كبيراً من الأهالي، بعد أن كان عدد ساعات التشغيل سابقاً ٥ ساعات يوميا مقابل ٢٥٠٠ ليرة سورية.

محمد المحمود

وتعرض قطاع الكهرباء خلال السنوات الماضية لانتقادات واسعة، كان عدم الرضا الشعبي واضحا في كامل محافظة إدلب، ومن بينها مدينة إدلب، إذ اعتبر الأهالي أن أسعار الأمبيرات مرتفعة بشكل دائم، إضافة لمشاكل سوء القواطع المقدمة من أصحاب المولدات، وفترات الأعطال الطويلة.

تخفيض عدد ساعات التشغيل يعود بحسب القائمين على مؤسسة الكهرباء في مدينة إدلب إلى ارتفاع أسعار الديزل التي فاقت بسعرها ضعف السعر القديم، ويرجع سبب الارتفاع إلى العملية العسكرية التي شنها الجيش التركي على مناطق حزب العمال الكردستاني في منطقة عفرين، والتي كانت طريق العبور للمحروقات من مناطق الجزيرة السورية.

معاون مدير مؤسسة كهرباء إدلب «عمر القاسم» قال لزيتون: «نحاول دائما الحفاظ على تسعيرة الأمبير ٢٥٠٠ ليرة سورية، وعند ارتفاع سعر مادة الديزل نقوم بتخفيض عدد ساعات التشغيل، وفق ما يتناسب مع سعر برميل الديزل».

وأضاف القاسم: «عندما كان سعر البرميل ٤٥ ألف ليرة سورية، كان يتم التشغيل لمدة ٥ ساعات، وحين وصل السعر إلى ٥٠ ألف ليرة انخفض عدد الساعات إلى ٤ ساعات ونصف، أي كلما زاد سعر البرميل ٥ آلاف ليرة سورية يتم تخفيض عدد ساعات التشغيل نصف ساعة، واليوم بلغ سعر برميل الديزل ١٠٥ آلاف ليرة سورية، والذي يعتبر سعراً مرتفعاً جداً، إضافة إلى قلة كمياته، إذ أن هناك العديد من المولدات الخاصة لم تستطع تأمين مادة الديزل».

وأضاف «القاسم» : «قبل تخفيض عدد ساعات التشغيل تم تشكيل لجنة لمعايرة عمل المولدات ومصروفها، شملت ١٥ مولدة من القطاع الخاص والعام، وتبين نتيجة الدراسة عدم جدوى هذه المولدات اقتصادياً بحسب السعر الحالي، كما أكدت اللجنة على تعرض المولدات للخسارة إن استمرت بالعمل لأكثر من ساعتين، وبناء على ذلك أصدرنا قراراً بتخفيض التشغيل لساعتين يومياً».

أحد أصحاب المولدات الخاصة في مدينة إدلب «محمد جمعة» أضاف أسبابا أخرى لتخفيض ساعات التشغيل: «ارتفاع سعر مادة الديزل وصعوبة تأمينه، فضلاً عن الأعطال المستمرة في المولدات، وعمليات الصيانة الدورية من زيوت وغيرها، كل هذا أجبرنا على الاقتصار بتشغيل الأمبيرات لساعتين فقط».

من جانبه اشتكى «صبحي مناع» أحد أهالي مدينة إدلب لزيتون: «ساعتين من الكهرباء لا تكفيان لشيء أبداً، لا للأعمال المنزلية ولا للعمل، ناهيك عن الفصل المتكرر للقواطع ذات النوعية الرديئة التي يتم تركيبها من قبل أصحاب المولدات، برغم ارتفاع أسعار الديزل إلا أن سعر الأمبير يعتبر مرتفعاً في الوضع الحالي».

ويضيف «يحيى بدرو» صاحب محل صيانة للأجهزة الكهربائية في مدينة إدلب لزيتون: «في السابق كانت مدة التشغيل خمس ساعات يومياً، وهي فترة معقولة، أما الساعتان فهما لا تكفيان لقضاء عملي المعتمد كليا على الكهرباء، والاعتماد على مولدة خاصة بي لن يكون أفضل، فسعر ليتر مادة البنزين ٤٥٠ ليرة سورية».

ويقول «مزين غنوم» أحد الأهالي: «أدفع ٥ آلاف ليرة سورية شهرياً مقابل أمبيرين، وساعتي تشغيل فقط، أشعر بالغبن، إذ لا أستطيع تشغيل البراد والغسالة معاً، وحتى أجهزتنا الخليوية لم تعد فترة التشغيل كافية لشحنها».

وسائل التواصل الاجتماعي، حملت في تسجيلات صوتية لبعض الأهالي، عبروا فيها عن غضبهم وسخطهم على مؤسسة الكهرباء والقائمين عليها، طالبوا فيها بعودة عدد ساعات التشغيل لما كانت عليه، كما دعوا للامتناع عن تسديد الاشتراكات أو مقاطعتها، والتهديد بإزالة كافة المولدات في حال لم يتم زيادة ساعات التشغيل.

يذكر أن قطاع الكهرباء تعرض لعدة انتقالات في إدارته، فبعد سيطرة هيئة تحرير الشام على مدينة إدلب في ٢٣ تموز ٢٠١٧ تسلمت الإدارة المدنية زمام إدارته، بعد أن كان يتبع لمجلس مدينة إدلب، لتصبح المؤسسة العامة للكهرباء في إدلب التابعة لحكومة الإنقاذ المشكلة من قبل هيئة تحرير الشام هي المتحكم فيه.

يذكر أن واقع الكهرباء بقطاع المولدات لم يتحسن بعد استلامه من قبل مؤسسة الكهرباء عما كان عليه في زمن مجلس مدينة إدلب، إلا بما يتعلق بسعر مادة الديزل وتوفرها.

سأبيع وطني وأستبدل جنسيتي وأصبح ثرية

حين وصلت إلى فرنسا، كما كنت أحلم، شعرت بسعادة بالغة فقد وصلت إلى أوروبا، كمن وصل إلى الجنة والراحة والسعادة، تخلصت من أعباء الحرب وتبعاتها، وسأصبح فرنسيةً، أتكلم العربية والإنكليزية والفرنسية، وسأصبح ثريةً دون أن أتكلف عناء العمل أو البحث عنه.
لن أتواصل مع أصدقائي القدامى، سأبيع وطني، وأستبدل جنسيتي، وأتخلى عن عاداتي وتقاليدي، وربما أتحول عن ديني.

ياسمين محمد

بينما ينظر أصدقائي لحياتي الجديدة في فرنسا على هذا النحو، أعاني أنا في الواقع من الوحدة، وألم الغربة، وصعوبة اللغة الفرنسية لا سيما بالنسبة لمن يُجيد الإنكليزية، وبدل أن أتعلم لغة البلد الجديد، أصبحت أتقن اللهجات الجزائرية والمغربية، اللتان مكنتاني من تجاوز صعوبة اللغة الفرنسية، وذلك بعد عقد صداقات مع جاراتي المغاربيات.
لقد نقص وزني بعد وصولي إلى فرنسا، وأصبحت رياضية، لا بل ربما بطلةً بالجري ستظنون أنني أمارس الرياضة أو الريجيم، ليس الأمر كذلك بل هي من كثرة ملاحقتي للمواعيد، وحملي لأثقال على مستوىً عال، من الأوراق الرسمية التي أخرج بها من كل موعد، لأحملها بعد ذلك كلها إلى الموعد التالي، فللفرنسيين حبّ شديد للأوراق والبيروقراطية، يخصصون حاوية للأوراق في كل منزل، وغرفة للقمامة في كل بناء، وطابعةً في كل زاوية، رغم غلاء الأوراق والقرطاسية.

ملاحقة المواعيد المكثفة، أبعدني عن عائلتي وأصدقائي كثيراً، وبات عائقاً أمام تواصلي معهم بذات الوتيرة التي كنت عليها قبل سفري إلى فرنسا، فما أن أعود من قضاء شؤوني في الخارج منهكةً، حتى يتوجب عليّ دراسة اللغة ولو لمدة ساعة يومياً، بالإضافة إلى تنسيق مواعيدي والتحضير لها.

وقبل نومي أعود لما استيقظت عليه، ألا وهو متابعة أخبار سوريا، وهو أول وآخر ما أقوم به في أيامي الجديدة، محذرة نفسي من التهاون بذاك المكان ومؤكدة على تمسكي ببلدي، ذلك الحب والحرص الذي لم يتغير أبداً، لا كما يظن أصدقائي من أنني سلخت جلدي، بل إن وجعي على ما يحصل فيها، وخوفي على كل من يعيش على أراضيها أكبر بكثير حتى ممن يعيشون فيها.

ماراتون المدرسة

طفلاي تم تسجيلهما في مدرسة تبعد عن المنزل واحد كيلومتر، أي لمدة ربع ساعة تقريباً، هذه المسافة يتوجب علي قطعها ٨ مرات يومياً، في جو مضطرب لا يمكنك التنبؤ به، لكن يمكنك التأكد من عدم صلاحيته للمشي، أوصلهما صباحا ثم أعود لصطحابهما ظهرا للغداء ثم أعيدهما ثم أعود مرة أخرى لإرجاعهما إلى المنزل، في رحلة مكوكية يومية.
ساعتان على الأقل أقضيهما في الذهاب والإياب من المدرسة، بالإضافة إلى المدة التي أقضيها أمام باب المدرسة أنتظر فيها دخول أو خروج طفليّ.
خوفي من تأخري عليهما دفع منبهي إلى الرنين بشكل دائم إذ لا ألبث أن أكتمه حتى يعاود الرنين، ليذكرني باقتراب موعدهما، وهذا ما يجعلني مرتدية ثياب الخروج، مهيئةً نفسي من الساعة السابعة صباحاً وحتى الخامسة مساءً.

ولا تخلو الفترات ما بين مشاوير المدرسة من التوجه إلى الأسواق لجلب حاجيات المنزل، وإعداد الطعام، والغسيل وترتيب المنزل من شقاوة الصغار، إضافة إلى البحث في الخرائط عن المحلات العربية التي تبيع الخبز السوري، والمتة، حالي كحال الكثيرات من النساء واللاجئين في فرنسا.
على باب المدرسة نجتمع بانتظار أطفالنا، نساء من كل البلدان العربية نتبادل الأحاديث والخبرات في قضاء أمورنا وكيفية الحصول على الخدمات واجتياز مصاعب اللغة والحياة، يساعدنا في ذلك ما يشيعه المارة من إلقاء التحية دون معرفة مسبقة بيننا، والمترافقة مع ابتسامة هادئة لطيفة على القلب، ما يبعث الأمان في النفس، والإلفة في المحيط.

تأخر وصولي إلى فرنسا قرابة العام، ريثما تم تأمين السكن لي، إلا أن الانتظار كان في صالحي، فقد اكتشفت لاحقا ما تعانيه الكثير من العوائل القادمة عن طريق السفارة الفرنسية في تأمين السكن، بعكس ما تقدمه المفوضية من تأمين سكن للقادمين عن طريقها، وفروقات ذلك بالحالة الاجتماعية إن كان أعزبا أم برفقة عائلته، وتفاصيل السكن المشترك ومشاكله، لكن يتفق الجميع على أن أزمة السكن هي المشكلة الكبرى التي تواجه جميع اللاجئين، ليس فقط في فرنسا، وإنما في معظم الدول الأوروبية، إن لم تكن جميعها.

الحياة النشطة والمتعبة التي أعيشها لا تخلو من الإيجابيات، أنا على وشك دخول الجامعة وقد أتمكن من تعديل شهادتي الجامعية، كما أن فرص العمل متوفرة، وإمكانية المرء للدراسة في تخصصه أو اختيار تخصص جديد أمر متاح كما قيل لي ممن التقيتهم هنا، كذلك المنح الدراسية لا سيما للسوريين كثيرة، ويتم الإعلان عنها على مدار العام، والحكومة متعاونة بشكل جيد معنا، بما تمنحه من ميزات عديدة لا يحصل عليها أخوتنا من دول المغرب العربي.

عندما أرى الاهتمام بأطفالي في المدرسة، ومتابعتهم بدقة وخطوة بخطوة من قبل المعلمين والإدارة وطبيب المدرسة، وحتى الأخصائي النفسي في المدرسة، والهيئات المسؤولة عن التعليم في منطقتي، والاجتماعات التي يعقدونها معي باستمرار لمناقشة أوضاع أطفالي من كافة النواحي "التعليمية والصحية والنفسية"، والتوصل معي إلى الطريقة الأفضل لتلافي السلبيات، وتطوير الإيجابيات، والوصول إلى المستوى الدراسي المقبول، أشعر بالسعادة الحقيقية.

في المدارس لا يطالبون الأطفال بما يفوق طاقاتهم وقدراتهم، أو ما لا يتناسب مع أوضاعهم وظروفهم، فهم يراقبون الطلاب منذ دخولهم إلى المدرسة في حركات أجسادهم، ونبرة أصواتهم، وطريقة كتابتهم وتعاملهم وردود أفعالهم، وأحياناً يلفتون انتباهي وانتباه العائلات الأخرى إلى أمور تخص أطفالنا كانت غائبة عنا، وهو ما آثرت أنا والكثير من السوريين الرحيل عن بلدنا من أجله، وهو حياة أطفالنا ومستقبلهم.

الطب والتأمين الصحي من أفضل المزايا التي يحصل عليها اللاجئ السوري بعد وصوله، فلا خوف من تكاليف العلاج أو غيره أن تمنعه من التوجه إلى طبيب العائلة العام، ولكن بعد أخذ الموعد، وغالباً يكون في اليوم التالي لطلبه أو خلال الأسبوع، ويراعى الوضع الصحي في تحديد الموعد، ولكن المشكلة أنه لا يستطيع التوجه إلى طبيب أخصائي دون برقية تحويل من الطبيب العام، وهو ما يتعارض مع ثقافتنا الطبية كسوريين، في التوجه بشكل مباشر إلى الأخصائي المطلوب.
وتكون المواعيد مختلفة بالنسبة للأطباء الأخصائيين، فلا يوجد مدة زمنية محددة تحكم الموعد، هناك بعض العيادات كعيادة الأسنان قد تمتد مواعيدها لأشهر، ولكن بالمقابل توجد عيادات في كافة المراكز الصحية المنتشرة في الأحياء، بالإضافة إلى أقسام في المشافي، يتم فيها استقبال الحالات الطارئة.

ويخول التأمين الصحي اللاجئ الحصول على الوصفات الطبية مجاناً، مع خصم بنسبة ٧٥٪ على بطاقات المواصلات.

"كاف" هي منظمة يعرفها كل اللاجئين السوريين، فهي تساعد اللاجئ بعد حصوله على الإقامة في كثير من الأمور التي ينوي القيام بها، بمجرد أن يرسل لها طلباً للمساعدة، كما تبادر في تقديم مساعدة مالية للاجئ في النشاطات التي يجريها للمرة الثانية، فبعد تسجيله أطفاله في النشاطات المدرسية لأول مرة، تقوم المنظمة تلقائياً بصرف مبلغ مالي لكل طفل يتم تسجيله في الأعوام التالية، وهو أمر لا أظن أنه متوفر في باقي الدول.
نحو ٣٢٥٠ مواطن سوري تقدم بطلب لجوء إلى فرنسا خلال عام ٢٠١٧، بالإضافة إلى ٣ آلاف لاجئ سوري التزمت فرنسا باستقبالهم فقط خلال عامي ٢٠١٦ و ٢٠١٧ عبر برنامج إعادة التوطين، فضلاً عن اللاجئين وطالبي اللجوء الذين وصلوا قبل هذه الفترة إلى الأراضي الفرنسية، وفقاً لإحصائيات المكتب الفرنسي لحماية اللاجئين وعديمي الجنسية.

ومع مجانية التعليم والطبابة، والتخفيض على أجور النقل، وغيرها من الإيجابيات التي لا أستطيع ذكرها كاملة، ولا أعرفها كلها، أشعر بالرضا عن حياتي في فرنسا، ولكن "ليت الغضا ماشى الركاب لياليا".

في ساحات باريس وبرد شتائها، يقف بعض السوريين، ممن قضت مضاجعهم مشاهد أطفال سوريين تنتشر كالإبر في العيون، لا يملكون سوى لوحات كتب عليها بعض الكلمات، يدفعون أبناءهم للإمساك بها، وكأنهم يوصونهم بحمل الرسالة مستقبلا، محاولين الإبقاء على ذلك الخيط.

أفضل ما قدمته لي فرنسا أنها أبقتني على قيد الحياة، في حركة دائمة، في سباق مع الوقت ومعرفة قيمته، مع ذلك البحث على بناء الذات، والسعي لتطوير ما يمكن في شخصك، بما توفره من إمكانيات لمن يرغب بالتقدم في الحياة، فلا مكان للكسل هنا والجدّ مطلوب لتحسين شروط حياتك الشخصية، تلك الصعوبات التي قابلتني أتقبلها الأن برحابة صدر، بل وصارت إحدى التحديات التي استمتع بتجاوزها، يساعدني بذلك ما أحصل عليه من خبرات تراكمية كل يوم، لست الوحيدة في تلك الدروب، بل كثيرا ما نترافق نحن السوريون، ونتعاون حتى على العالم الافتراضي في تسهيل إملاءات اللجوء الذي ما زلنا نأمل أن يكون مؤقتاً.

أنس الأزرق وتلفزيون سوريا

حين تبهت الثورة، وتراوح في الهزائم، يتحول مؤيدوها إلى رماديين، وما كان واضحا في معارضته يغدو أكثر ضبابية، لتبدأ مرحلة جديدة في التلون والاقتراب من الضفة الأخرى بمسميات أقلها «لكل السوريين معارضون وموالون إلا القتلة»، والقتلة هنا قد تكون موجهة للثورة أكثر مما هي للنظام، في توطئة للقفز من مراكب قد تكون خاسرة لهم بحساباتهم.

رائد رزوق

انتشر شعور بالصدمة بين الأوساط الصحفية والمتابعون القطاع الإعلامي، بعد الإعلان عن الرئيس التنفيذي لتلفزيون سوريا الذي انطلق في الثالث من آذار الجاري، ما أثار موجة من الانتقادات للتلفزيون في بداية عمله، يمكن أن تضع تساؤلات حول هدفه والغاية منه.

ويرجع سبب الصدمة من تسمية أنس أزرق كمديرٍ تنفيذيٍّ لتلفزيون سوريا إلى أسباب أهمها أن إدارة التلفزيون والتي تمتلك مجموعة هائلة من وسائل الإعلام، محسوبة بشكل أو بآخر على الثورة السورية، كقناة العربي وصحيفة العربي الجديد وموقع جيرون وغيرها، كما تطرح نفسها على أنها مؤسسات سورية حريصة على أهداف الثورة.

ويشكل تاريخ الرئيس التنفيذي معضلة أمام فهم السياسة التي يعتزمها تلفزيون سوريا، رغم كل ما نشر عن سياساته وبرامجه وتوجهاته، فكيف سيتمكن مَنْ عمل أكثر من عامين في تبرير جرائم النظام السوري وتبرئته، واعتداءات حزب اللّه في سوريا، وهو في موقع إعلامي مسؤول، أن يكون إعلامياً حيادياً على أقل تقدير.

وتذكر بعض المقالات تناولت تاريخ الأزرق وخروجه من سوريا وتركه العمل لدى حزب اللّه والنظام السوري بأنه «خروج عقب اندلاع الثورة السورية»، بطريقة تعطي انطباعا مضللا يفيد بأن خروجه كان بناء على موقف متضامن مع الثورة، لكن يظهر أن هذا «العقب» كان متأخرا، إذ لم يخرج الرجل إلا في منتصف عام ٢٠١٣، وهو وقت بعيد لمن كان له قلب.

السؤال الأبرز الذي تطرحه الصدمة هو عن مالك التلفزيون، والرجل الذي تحول إلى ما يشبه «مردوخ» الإعلام العربي»عزمي بشارة»، بعد امتلاكه لشبكة واسعة من وسائل الإعلام، ليعود الجدل مرة أخرى حول مواقفه وعلاقاته بالنظام السوري، وتصريحاته حول الثورة السورية.

في الدقائق الأولى لانطلاق التلفزيون قال المدير التنفيذي «أنس أزرق» عن سبب تسمية التلفزيون باسم «سوريا» أنه عائد للشعور بأن الاسم بات مختطفا، مع التأكيد على عدم التهاون في قيم الثورة والابتعاد عن الخطاب الطائفي بطريقة مهنية.

ومن هنا يدخل الأزرق إلى فضاء الإعلام البديل من بوابة المهنية، وهو المدخل ذاته لتبرير ما كان يقوم به أثناء تغطيته لعمليات الجيش السوري وعصابات حزب اللّه في سوريا، والحزب الذي شارك منذ انطلاق الثورة على قمعها، بداية بشكل سري ثم بشكل علني منذ بداية عام ٢٠١٣.

مقال استباقي

وكان «الأزرق» قد كتب -بشكل استباقي- قبل أيام ليست ببعيدة، عن تجربته مع النظام السوري وعلاقته مع الأسد، في محاولة منه لتجنب ما قد تحمله تسميته كمدير تنفيذي من انتقادات، وحمل المقال الذي عنونه «بالانحياز الأخلاقي» صورة تتطابق مع حالته في القفز من مركب النظام المتهالك إذ يقول فيه: «توسّع المعارضة يأتيها غالبا بقطاعاتٍ واسعة من الناس، وغالبيتهم لم تكن أصلا مسيسةً أو عاشوا في ظل الخوف، وتصرّفوا على هذا الأساس. ومع حدوث الاستقطاب بين الشعب والنظام، تتدفق كوادر من النظام وضباطه ومسؤوليه».

ويصعب على القارئ لمقالة أنس أزق التمييز فيما إذا كان يفتخر بعلاقته مع بشار الأسد قبل وبعد توليه الرئاسة وبعلاقته مع حسن نصر اللّه، أم أنه يعترف بخطاياه تلك، إذ يعتبر تلك العلاقة ليست بالسر الذي يكشف وهو يتحدث من تلفزيون «لا يشارك القتلة» دون اتخاذ موقف واضح من الأشخاص الذين شاركوا القتلة: «كما عرفت بشار الأسد قبل أن يصير رئيساً، ورافقته بصفتي إعلامياً في عديد من زياراته الرئاسية في ما بعد، وكنت أول إعلامي سوري يقابل الأمين العام لحزب اللّه، حسن نصر اللّه، على شاشة التلفزيون السوري».

ولكي يجبرنا على أن نفهم بمهامه تلك على أنها طبيعية، وينأى بنفسه عن صورة المتماهي مع مزاج النظام، يؤكد الأزرق أن من كان يلتقيهم بسبق صحفي كانوا أبطالاً في الوجدان العربي بحسب رأيه: «أتذكر، في هذا السياق، أنني أيضا كنت أول من قابل على الهواء مباشرة، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس (السابق)، خالد مشعل، والأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي، رمضان شلح، وجميع هؤلاء كانوا أبطالاً وقادة مقاومةٍ في الوجدان العربي والسوري في تلك الفترة».

ويقدم أزرق حججه في معاكسة النظام بعد الإقرار بعلاقاته مع صناع القرار السياسي و»الأمني» في سوريا، مدللاً ببعض الحلقات والبرامج التي أوقفت نتيجة لقفزه عن الهامش المسموح به قائلاً: «نعم، كنتُ على علاقة جيدة بصنّاع القرار السياسي والأمني في سورية، ولا سيما قمة الهرم بشار الأسد، وكنت أتمتع بهوامش كثيرة، وقد استغللتها إلى أقصى حد، كما حصل عندما استضفت على الهواء مباشرة شخصيات مثقفة، معارضة أو مستقلة، كثيرة، لا يعجب النظام خطابها، وعندي عشرات الأمثلة».

ورغم ظهوره في مشاهد مقتطعة من تقاريره التلفزيونية أثناء لقائه مع عناصر حزب اللّه المسلحين، وتغطيته لعمليات الجيش السوري ومرافقتهم في مواجهة «المسلحين»، إلا أن الأزرق يؤكد أنه قد اتخذ قراراً بعدم تحوله إلى شبّيح، أو متاجر بالدم السوري، حيث عمل بعض زملائه بالواسطات لإطلاق سراح مخطوفين أو معتقلين، وجنى بعضهم من هذا الأمر ثرواتٍ، ونال بعضهم مناصب، بينما كان نضاله الأخلاقي اليومي هو ألا ينساق إلى تأييد

الأزرق وتبرئة النظام

وفي مقابلة سابقة للأزرق على صحيفة الفرات الموالية للنظام السوري في العدد ٢٠٢٨، أي قبل حوالي ثلاث سنوات يروي فيها عن حضوره لمنتدى الإعلام العربي في دبي، الذي رعته قناة العربية، وكيف استنكر في المنتدى تزوير الحقائق عبر وسائل الإعلام العربي متسائلا بمداخلة له حول إن كانت الرواتب في آخر الشهر تعادل الدماء السورية التي تسببت الأشرطة المزورة التي تحمل مسؤولية الجرائم للنظام بإراقتها، هذه المداخلة تكشف ما كان يقوم به الأزرق من مهمة الدفاع وتبييض وجه النظام، ونفي أي صفة إجرامية عنه سواء في منتديات الإعلام أو في الحوارات التي كان يجريها مع وسائل الإعلام الرسمي، ولو كان مجبرا على الدفاع عنه لما تطوع في كل فرصة للمبادرة في حديث المؤامرة عن نظام الأسد.

تتضمن المقابلة ذاتها تبرئة الأزرق لنظام الأسد من جريمة قتل رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري، معاتبا نفسه على عجزه عن إثبات البراءة بقوله: «نحن قصرنا إعلامياً بحق أنفسنا، ولم نتعلم من درس عام ٢٠٠٥ عندما هزمتنا قنوات إعلامية بالتضليل والكذب وتجييش الغرائز بعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري».

وعن سقف الحريات في سوريا الأسد،

يرى الأزرق أن المشكلة ليست في السياسة الأمنية المفروضة على سوريا منذ ٤٠ عاماً، ولا بسيطرته ورقابته على كل كلمة منشورة، بل بالطفيليات التي علقت بمهنة الصحافة الغير مهنية، وفي إجابته يقول: «سقف الحريات في الأساس ليس واسعاً، ولكنه ليس ضيقاً، وقد اتسع مع الأحداث الأخيرة، ولكن المشكلة تبقى بتطوير الكوادر والكفاءات الإعلامية وتطوير أدوات المهنة، والتخلص مما علق بهذه المهنة من طفيليات ومتسلقين، وهذا ليس سهلاً».

تلفزيون سوريا بحسب مديره التنفيذي هو مؤسسة إعلامية سورية غير محايدة، إذ تلتزم بسورية موحدة تعدّدية وديمقراطية، ولكنها مؤسسة إعلامية مهنية، وليست حزباً أو تياراً سياسياً. ولا تتبع هذه المؤسسة لشخص ولا لمجموعة أشخاص، بل تحاول أن تكون للشعب السوري وقضيته العادلة، وهي لا تدّعي تمثيل الشعب السوري، ولكنها سوف تحاول أن تستنطقه، لكي يمثل نفسه على شاشتها، وعبر برامج إخبارية وفنية وثقافية منوعة.

كما عرف التلفزيون عن نفسه في موقعه الرسمي على فيس بوك بأنه «قناة فضائية لكل السوريين، تتبنّى خطاباً وجهة النظام وترويجها بشكل أعمى، وكأن عدم قيامه بذلك فضيلة تحسب له وفضلا منه على السوريين الذين كانوا يقتلون بجيش نظامه.

الأمل الساذج الذي دفعه ليكتب مقالا عن «الشعب يريد والرئيس يريد» كما يقول، واعتذاره المتأخر لثماني سنوات وشعوره بالخجل من المهام التي قام بها، وخوفه على حياته أثناء عمله في إعلام حزب اللّه ولا سيما أنه كان «يحضر ويرى»، ورفضه لاستعراض انشقاقه عن النظام تجنبا للبطولة والفائدة، تثير شكوكا حول الرجل وإمكانية إلزامه بأي موقف يرشحه ليكون في موقع يصنع فيه سياسات لتلفزيون سوريا.. «نعم، استفدت من النظام وعشت في بعض مزاياه، وقدّمت موادّاً لو أتيح لي الرجوع إلى الوراء لما قدّمتها، ويستحق بعضها الاعتذار عنها (وأنا حقاً أعتذر عنها) بسبب مساهمتها بتبييض صفحة نظام كان يجب أن أدرك في وقت أبكر أنه غيرٌ قابل للإصلاح».

ويحق للسوريين أن يتساءلوا عن عدم انحياز الأزرق الأخلاقي في فترة العامين الأكثر فرزا في سوريا، كيف كان يتعامل مدير مكتب تلفزيون المنار مع الأحداث، بأي كلمات كان يصف النظام والثورة، وكيف يمارس مهنيته مع ضباط الأمن والجيش وحزب اللّه، وكيف يمكن أن نقبل قوله: «لم أصوّر أو أكتب أي شيء عما يسميه الآخرون انشقاقاً، وأفضّل أن أسميه انحيازاً أخلاقياً»، ومن حقهم أن يسألوا لمَ لمْ يقدم شهادته على الجرائم التي عايشها ورآها أثناء عمله، شأن كل الذين انشقوا عن النظام مقتاً من جرائمه.

يهدف إلى تعميق الثقة مع الجمهور، وتنحاز إلى الجانب الأخلاقي من الحدث والتاريخ، منصتنا موجّهة لكل السوريين في الداخل وفي الشتات، تتمَثّل في عملنا قيم الحرية والعدالة والمواطنة والتعددية واحترام القانون وحقوق الإنسان، نسعى للمساهمة في تكوين رأي عام إيجابي يعزز المصلحة الوطنية الجامعة، استناداً إلى الثراء والتنوع الثقافي للمجتمع السوري».

وبحسب مصادر مطلعة فإن القناة مملوكة لشركة «ميتافورا» التابعة لشركة فضاءات ميديا ليمتد، والمعروف في الأوساط الصحفية دور عزمي بشارة الرئيسي فيها وفي تلفزيون سوريا، وقناة العربي، وصحيفة العربي الجديد،. الممولة بشكل مباشر من دولة قطر، وعليه فإن لنا الحق في التساؤل حول وطنية هذه المؤسسة التي يديرها رجل عتيد للنظام ولحزب اللّه، ويشرف عليها عضو كنيست سابق، وتمولها إمارة أخر همها حرية السوريين.

وينطق الأزرق بالحقيقة في جواب قديم له على أحد الأسئلة بقوله: «يبدو أن الأموال القطرية تفسد كل شيء، كما كان يفعل المال النفطي دائماً، فيحاول إفساد ثقافتنا وذائقتنا وتقاليدنا وكل ما نعتز به من قيم لصالح ثقافة مكبوتة وقاصرة ومتخلفة».

كلهم مروا عليها وما تزال بعد سبع عجاف

محمد بتش مسعود

أبطال وفرسان، جبناء ومخنثون، كرماء وشجعان، انتهازيون ومستعرضون، مخلصون ومجرمون، سارقو أكفان وطيبون، ودعاء وسفاحون، منظرون ودهاة وساذجون وبلهاء وأغبياء وغيرهم، كلهم مروا عليها، ونجت بعد سبع سنين.

كذب النظام وبدائية جيشه ووضاعة ساسته وإجرام مخابراته، بدائية إعلامه وادعاء مؤيدوه، استزلام دفاعه الوطني، وعهر انحطاطه.

انتهازية ميليشيات إيران وحزب اللّه، سخافة أبو الفضل العباس وهمجية لواء أسد اللّه الغالب ولواء ذو الفقار وعقائدهم، زيف حججهم، ولصوصية منهجهم.
داعش ونصرة، وأقصى وحراس الدين وفصائل لها أول ليس لها آخر، وسفور دولي غير مسبوق، من غصن الزيتون إلى تحرير تدمر إلى غرب الفرات إلى قضايا القومية الكردية، ومراجعات في الشرع الإسلامي، وصحة الرمي من شاهق، وزواج أخ الزوج، وثقافات وهابية حول الاختلاط واللباس الشرعي.

لولا هذي الذكرى السنوية لكنا بألف خير، ما أن نركن إلى ملاذاتنا آمنين حتى تعود بثقلها ومسؤولياتها، قارعة علينا غرف النوم مذكرة إيانا بما تخلينا عنه من مهام لم تكتمل، كإيقاظ الآباء لأبنائهم في كل صباح.
لم نتوقع أن تصل العجاف إلى سبع لكنها لم تكتف، من كان يصدق أن تدوم المجزرة لسبع سنين، سبع سنين من الدم والدمع، لم ينتصر ولم يسمع أحد.

سبع سنين وما يزال القاتل يتسلى بالقتل، سبع سنين ما زال العالم المتحضر يناقش من قام بالمجزرة ومتى قامت المجزرة وكيف ولماذا، سبع سنين تم فيها خطف الثورة وسرقتها، باسم الدين وباسم الشرع وباسم الدولة، ونحن يا غافل لك اللّه، نتملى في وجوه من سرقوها هل هم سوريين، هل هم من أبنائنا، هل سيطول الأمر حتى تعود الأمور لنصابها.
في ذكرى الثورة نفتح دفاترنا العتيقة، نمسح الغبار عن وجوه الذين صدقوا ورحلوا، والذين لم نعد نعرف عن مصيرهم شيء.

في ذكراها السابعة ونحن نتكسر أمام عجزنا في عرض الغوطة الدموي، نسترجع ذل ٤٠ عاما، ونأمل أن ينجو أهلها بأي شكل، ونحلم أن هذي السبع العجاف لا بد وأن تأتي بعدها سبع سمان في لعبة القدر المغرم بالمفاجأت.

في سابعتها نتوب عن أخطائنا، ونستنكر ما آثامنا، نصلي لوطن لا يفرقنا فيه دين أو مذهب، تكون سوريتنا هي أكبر اعتباراتنا، وطن نخبئ فيه ما نحب لأبنائنا.
في ذكراها سنخلد كرهنا للقاتل، وسنمجد الحب للأرض والإنسان، عسى أن نحتفل كسوريين بعد عام، بنجاتنا من المحرقة وبداية لعودة سوريا إلى الحياة.

بعدسة: غادة باكير

SNP
زيتون عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع